العلم الثقافي

المدير: عبد الله البقالي

سنة: 54
سنة التأسيس: 1969/2/7
الخميس 2 مارس 2023
الموافق 9 من شعبان 1444

10 ، شارع زنقة المرج حسان الرباط
Bach1969med@gmail.com

مُذكِّرات

لم أكد أضع الكلمة الأولى في افتتاحية هذا العدد ، حتى اسْتعدتُ يدي أشدَّ بياضا من الورقة البيضاء ، لا لشيء إلا لأنَّ خاطراً لسعني وأوحى لي أن أتركهم يأخذون حصَّتهم من كتابة الافتتاحية ،إنَّهم/هن الرائدات والرواد الذين سبقونا إلى هذا الطريق بينما كنا لا نزال في أول الطريق ، رائدات ورواد الإعلام الثقافي الذين زادهم الاشتغال بالأدب وزنا يُقاس بميزان الذهب ، أولئك الذين أفنوا حياتهم في الكتابة ، لا يجب أن يكون الجزاء نظير ما أسْدوه للثقافة المغربية التشطيب والإلغاء ، بل الأجدر أن نسْتحضر بين حين وآخر ذكراهم ونُرسِّخها بقوة الفعل ،ليس فقط بالاقتصار على رفع الأكف بالضراعات والدعاء ،ولكن بإعادة نشر أعمالهم التي قد لا نجد اليوم ، مثيلا لأسلوب كتابتها البليغ وقوتها في إبداء الرأي ، عسى أنْ لا نُقلق راحتهم الأبدية ، ويقبلوا العودة للعيش بيننا للحظات بعد أن ذاقوا نعمة الخلود في دار البقاء !

محمد بشكار
bachkar_mohamed@yahoo.fr

من أجل نقد أدبي صحيح

كتبها : محمد زفزاف

إن الشعارات التي يلوح بها بعض نقادنا الشباب الثوريين ليست مكسبا للثقافة إلا من حيث الدافع فقط. فعوض أن يقوم هؤلاء النقاد بتحليل النصوص الأدبية وفق إيديولوجية ثورية؛ فإنهم ينطلقون من مفاهيم يسارية متشعبة وغير قارة. وأحيانا تكون المفاهيم نفسها متناقضة. فليس بالضروري أن يكون كل ما هو يساري ثوريا؛ ولا حتى تمرديا. وبعض هؤلاء النقاد الشباب ينطلقون وفي أيديهم مصطلحات عامة وفضفاضة؛ يلبسونها لأي نص مهما كانت قيمته ومهما كانت عقيدة كاتبه. وهذه المصطلحات تتيح الفرصة لإصدار أحكام غاية في العشوائية؛ يمكن أن نصدرها على مایاكوفسكي وويتمان على السواء. أو تولستوي أو هنري جيمس؛ فكل شيء جاهز ومحدد سلفا؛ والمهم هو اختيار الكاتب الذي يمكن تصنيفه حسب رغبة وإرادة « الناقد «. والسبب في ذلك: أن قراءات هؤلاء النقاد الشباب منحصرة في كتب بعينها؛ وهذه الكتب النقدية؛ بما أنها ليست وحيا؛ فهي توفق في إجراء حوار مع الأعمال الأدبية المدروسة؛ أو قد تنهش وتطعن في بعض الجوانب من العمل الأدبي التي قد تكون قمة الروعة في الإبداع.

إن تحصيلهم لتلك المفاهيم المطبقة على نصوص بيئة معينة؛ وثقافة معينة ..إلخ؛ يجعلهم بدورهم يطبقونها على نصوص مغربية خاضعة لعدة شروط؛ رئيسيين: عمل أدبي بورجوازي؛ عمل أدبي يعبر عن الطبقة العاملة. أما كيف يتم ذلك ؛ فلا جواب.

ثم؛ هل أي نص أدبي هو مقالة لروبير أرون ؟

لم أقرأ كثيرا لنقاد حاولوا أن يدرسوا تقنية العمل الأدبي؛ أو تطور العملية الإبداعية داخله؛ ومصاعب ومشاكل هذا العمل الداخلية. لكن كل ما هناك هو أن النهش يبدأ كما لو كانت القصيدة أو القصة افتتاحية لصحيفة رجعية. وهكذا تكون لدى نقادنا الشباب معادلات سهلة؛ ساعدت في تفريخهم الواحد تلو الآخر. كل يوم نقرأ لاسم جديد يكرر كالببغاء ما كرره الذين سبقوه. وهذه المعادلات كثيرة منها :

النص	النقد
« كنت في المقهي»	كاتب بورجوازي
« عانقت صديقتي»	كاتب بورجوازي
«تهدم عليه الكوخ»	كاتب بروليتاري
«لم أعرف ما أفعل بنفسي اليوم»	كاتب بورجوارزي أو مغترب كما تشاء

وهكذا؛ فإن أكثر الثوار عبر التاريخ والماركسيين واللينينيين والماويين وما إلى ذلك؛ لم يعرفوا ما يفعلون بأنفسهم؛ في لحظة قلق معينة؛ في يوم؛ وسبحان باذل القدرة على الاحتمال لمن يشاء.

إن النظرية النقدية السائدة تتعامل مع النص من فوق؛ ومن تحت؛ من الأمام ومن الخلف؛ ولكنها لا تنفذ إلى داخله؛ لأن النص لا يستحق ذلك؛ فهو موبوء مسبقا. هذا النوع من التعامل مع إبداعاتنا يسيء إليها كثيرا ويسيء إلى كتابها. كم من الكتاب الشباب الذين كان يعدون بالعطاء قد توقفوا نهائيا؛ لأنهم لم يحتملوا طريقة النقد الموجه إليهم. ولكنهم لم يعرفوا أن أعظم الكتاب تعرضوا لألذع النقد. ولم يزدهم ذلك إلا صمودا واستمرارا. ونظرا لتلك الحساسية المفرطة عند أولئك الكتاب الشباب وقلة تجربتهم في تلقي اللعنات؛ سواء على الصفحات أو في المقاهي؛ فإنهم هجروا الميدان نهائيا. لقد كانوا ينتظرون الورود فإذا بأنوفهم تمرغ في الشوك والتراب؛ والذين فعلوا ذلك فعلوه إما عن علم أو عن جهل؛ وكلاهما محتملان.

إن حركة النقد عندنا ما تزال تنمو؛ وعليها وحدها يجب أن تكون الحراسة مشددة. إني ألاحظ أن كل ما يكتب مثلا عن عمل مغربي حتى ولو كان ضعيفا ينشر لإثارة جدل؛ ولكنه في نهاية الأمر لا يثير سوى مهاترة. إن نشر تلك المحاولات النقدية الضعيفة لا يخدم الأدب المغربي بقدر ما يقف عرقلة في وجه تطوره. لذلك وجب التشديد في نشر تلك المحاولات. وليس المهم أن ما تحتويه هو مصطلحات نقدية ذات نغم خاص؛ ولكن المهم هو الوضوح في الرؤيا؛ وطريقة معاملة النص؛ وإلى أي حد يمكن للقارئ أن يكون على علاقة مع العمل الأدبي من خلال تلك المحاولة النقدية .

ومع العلم أن النظرية النقدية تسير في خط موازٍ مع مراحل العمل الأدبي؛ وهي لا تكون فوقه ودونه. وتكون نتيجة ذلك أن «النقاد» لم يهضموا ما قرأوا. وعندما لا نفهم ما نقرأ؛ لا نستطيع أن نكتب عما قرأنا. ولهذا نلاحظ الكثير من الغموض في كتابات النقاد الشباب. نقف أمام فقرة مرات ومرات؛ لأننا لا نفهمها بحال. أما العمل الأدبي فهو يخضع لحكمين

المصدر: جريدة «المحرر» 9 مارس 1975

نصح المقالة في شرح الرسالة

دراسة وتحقيق : عبد الله أحمد الخراز

المقدمة وباب العقيدة

ضمن منشورات مكتبة سلمى الثقافية بتطوان، صدرت أخيرا دراسة محققة للأستاذ عبد الله أحمد الخراز، موسومة بـ « نصح المقالة في شرح الرسالة (المقدمة وباب العقيدة)»، وتعد شرحا ميسرا مبسطا مع نكت مفيدة ودرر وتنبيهات وزوائد منيرة، مع وضوح العبارة، وسلاسة الأسلوب، التزم فيه ابن الفخار بالمقرر في المذهب المالكي، وكان حريصا على تقرير المشهور منه، مهتما بتذليل المعاني وتقريبها للأفهام .

سلك ابن الفخار في كتابه مسلك الشارح الذي كان جل همه تقريب المعنى إلى أذهان الطلبة واستصحبه طوال شرحه مع تضمين الكتاب مجموعة من التنبيهات والنكت الفقهية والحديثية، والاستدلال للفروع الفقهية وتعليلها، مع حرص واضح بين على استحضار البعد التربوي والتعليمي، ترتيبا، وتنسيقا، ومنهجا، وتقسيما للأبواب والمسائل، ولفظا بسيطا واضحا خاليا من التكلف، وتقريبا للخلاف، فكان سفره مرجعا شاملا يستغني به الطالب عن غيره، كما أنه يصلح للوعظ والإرشاد لما فيه من نكت وقصص وأمثلة تقرب المعنى.

وقد أورد المحقق عبد الله أحمد الخراز في الغلاف الأخير للكتاب، إضاءة يقول فيها: «هذا النص العقدي يعود إلى أوائل القرن الثامن الهجري، وإلى فترة الوجود الإسلامي بالأندلس، وازدهار الحركة الفكرية بالعدوتين، وفي فترة هيمن فيها المذهب المالكي، وكثرت فيه الشروح والحواشي على أمهات كتب المذهب، ويعتبر من النصوص الغميسة التي تم الكشف عنها خلال العقود الأخيرة ضمن مدخرات مكتبة دير الأسكوريال بمدريد ومكتبة ميونيخ. وهو جزء من مخطوط «نصح المقالة في شرح الرسالة « لابن الفخار الجذامي الأركشي المالقي ، وينصب على شرح عقيدة رسالة القيرواني التي تميزت بالبساطة والوضوح واعتماد النصوص المحكمة من الكتاب والسنة ، فجاء شرحه مختصرا نافعا ، محررا بارعا ، سهل العبارة موجز الالفاظ ، كثير المعاني والفوائد ، مما يناسب مختلف المستويات العلمية للقراء والمتعلمين» .

يمكن القول إن الكتاب عبارة عن مساهمة لإحياء وبعث التراث الإسلامي، الذي لا يزال جزء كبير منه مخطوطا، محاولا إبراز مجهودات وإسهامات علماء الغرب الإسلامي في خدمة التراث الإسلامي عامة والمالكي خاصة، والوقوف على رجالات العلم الشرعي بوطننا والتعريف بهم وبمجهوداتهم خصوصا المغمورون منهم كابن الفخار الجذامي، وهذا بعض من العرفان ورد الجميل لهم.

يقع الكتاب في 144 صفحة من الحجم المتوسط، وطبع في مطبعة الخليج العربي بتطوان، وقامت بالتصفيف والإخراج لبنى أقوبعن.

بن يونس ماجن

ظلال هاربة من قيظ النهار

عن مؤسسة لندن للطباعة والنشر والتوزيع، صدر حديثا عمل شعري جديد للشاعر المغربي المغترب بن يونس ماجن، يحمل عنوان» ظلال هاربة من قيظ النهار».

يقع الديوان في 104 صفحة من الحجم المتوسط، ويضم 23 قصيدة.

المجموعة الجديدة تتضمن جملة من النصوص الجريئة تعكس تجربة بن يونس ماجن وعلاقته المتينة بالشعر ضمن مسيرة امتدت سنوات طويلة.

تأتي تجربة الشاعر مع هذا الإصدار الجديد مكملة للإصدارات السابقة،

و يتميز ا لنص الشعري عند بن يونس ماجن بجماليته وصوره ولغته الخاصة،

وتعبر كتابات الشاعر المغربي في هذا الديوان عن مآسي الانسان العربي وصراعه ضد العوز والفقر والحريات المكبلة والطغيان المستبد،

وقد أهدى الشاعر ديوانه إلى أبطال وشهداء معركة «سيف القدس».

يوسف الحزيمري

صناعة الجدل عند مفكري الإسلام

أثمرت أخيرا دار النشر سلمى الثقافية بتطوان، بباقة نضرة من المؤلفات في حقول شتى، ومنها كتاب للدكتور يوسف الحزيمري يحمل عنوان»صناعة الجدل عند مفكري الإسلام» ، وهو عمل فكري يبحث في موضوع الصناعة الجدلية مفهوما وتأصيلا وتطبيقا؛ مفهومه اللغوي والاصطلاحي في الثقافة الإسلامية، ومصدريته (في القرآن والسنة) كمنطلق عقدي وأخلاقي، وتطبيقاته في مختلف مناحي العلوم الإسلامية حين أصبح صناعة علمية، وهو ما جاء تأكيده في المقدمة التي وضعها الدكتور أحمد بوعود تقريظا للكتاب.

يدرج الدكتور أحمد بوعود، أستاذ الفلسفة بجامعة عبد المالك السعدي بتطوان، «صناعة الجدل» ضمن الصناعات الخمس المعروفة (البرهان والجدل والخطابة والشعر والمغالطة). وقد اعتبر التقليد اليوناني الجدل منهجا يقوم على أساس البرهان بالخلف الذي غايته إفحام الخصم، كما هو الشأن عند زينون الإيلي (توفي عام 430 قبل الميلاد) مع خصومه الفيثاغوريين. بينما اعتبر سقراط الجدل فن الحوار عبر السؤال الذي كان يعتمد الفحص من أجل إفحام المحاور. وتنسب صناعة الجدل إلى أرسطو الذي اشتهر بتأليفه فيها «كتاب الجدل «، لخصه ابن رشد الحفيد.

ويضيف بوعود «يتلخص الجدل عنده في كونه القياس ذو المقدمات المحتملة، أو المبنية على الآراء الشائعة، وقد تناوله في ثمان مقالات. والجدل عنده ليس علما كما هو الشأن عند أفلاطون، بل هو نوع من الاستدلال الذي يستخدم مقدمات محتملة، أي آراء متواترة عند العامة أو العلماء، على الرغم من صحتها صوريا. ويستخدم أرسطو في المناقشات الجدلية أدوات التعريف والاستقراء والقياس .

وقد اختار المؤلف «يوسف الحزيمري»، منهجا استقرائيا في تحرير فصول هذا البحث ومطالبه، توخى من خلاله الوقوف على تطبيقات الصناعة الجدلية عند مفكري الإسلام في مختلف المجالات العلمية. وقد جاءت مباحث الكتاب في فصله الأول لتشمل العناوين التالية:

- مفهوم الصناعة الجدلية: معنى السؤال الجدلي والجواب الجدلي - مرتكزات الصناعة الجدلية تأسيسا وبناء
- علاقة الجدل بمدارك العلوم.

فيما شمل الفصل الثاني بيان منطلقات الصناعة الجدلية العقدية والأخلاقية. وأخيرا خصص الفصل الثالث لتاريخ الصناعة الجدلية نشأة واستعمالا كما وردت تطبيقاته في القرآن الكريم وفي السنة النبوية وعند بعض الصحابة الكرام، وكذا عند بعض أعلام فقهاء المسلمين.

وقد خلص المؤلف من خلال هذه الفصول إلى القول بأن الناظر في القرآن الكريم يجده قد اشتمل على جميع الأساليب الجدلية، مما أعطى مشروعية لهذه الصناعة المعرفية، كما أن أعمال الرسول عليه السلام تطلعنا على مختلف الأساليب الحجاجية التي اعتمدها، سواء مع قومه أو مع خصومه بحسب المواقف، وهكذا انتهج علماء الإسلام على استعماله في محاجة الخصوم والرد على المجادلين مما نجده واضحا في مختلف مواضيع المناظرات العلمية التي حفظها لنا تاريخ الثقافة الإسلامية.

الكتاب يقع في 160 صفحة من الحجم المتوسط، وطبع بمطبعة الخليج العربي بتطوان، وسهر على التصفيف وتصميم الغلاف «لبنى أقوبعن «.

فؤاد الزبادي

رشيد نيني

في مهرجان دار الشعر بتطوان

نيني يدلي باعترافاته تحت التعذيب والزبادي يشدو بأعذب تطريب

استضاف دار الشعر بتطوان، ليلة السبت 25 فبراير 2023، المطرب المغربي فؤاد الزبادي الذي قدم حفلا فنيا تاريخيا بمسرح دار الثقافة بمدينة تطوان، جاء تتويجا لتظاهرة «شاعر بيننا»، والتي خصصت هذه المرة للشاعر والإعلامي المغربي رشيد نيني لتوقيع ديوانه الجديد «اعترافات تحت التعذيب»، الصادر عن بيت الشعر في المغرب.

وحضر المئات من عشاق الشعر والطرب الأصيل لمتابعة هذه التظاهرة الشعرية والفنية التي انطلقت بعرض لوحة مسرحية أدائية قدمها طلبة الفنون الجميلة والمعهد الموسيقي وماستر السينما بتطوان، اشتغلوا فيها على قصائد الشاعر رشيد نيني، وهي من إخراج المسرحي المغربي يوسف الريحاني.

في البداية، ألقى رشيد نيني نصا سرديا عن أول زيارة له إلى تطوان، منذ تسعينيات القرن الماضي، حين قدم إليها باحثا عن العمل، متعلقا بالأمل المفقود، بعد فشل محاولة الهجرة إلى الجنوب الفرنسي. عن هذه الرحلة يقول رشيد نيني: «عندما فقدت الأمل كليا في أي مستقبل لي في البلد اتخذت قراري النهائي بالمغادرة. فقد شعرت دائما أنني أعيش نصف عيشة، أسكن في بيت نصف مكتمل، وأعيش على أنصاف الحلول، وكلما بدأت شيئا تركته في منتصف الطريق. تيقنت أن لا شيء عاد يشدني إلى هذه الأمكنة التي ولدت وعشت فيها طفولتي ومراهقتي وبداية شبابي، فصار كل شيء عندي مملا وتافها ومؤقتا. أهملت حلاقة ذقني وتخليت عن محاولاتي الفاشلة في إيقاف تساقط شعري، ولم أعد أجمع فراشي وصرت أنام بكامل ثيابي كأي مبحوث عنه، مؤجلا كل شيء له علاقة بالنظام إلى زمن ومكان لاحقين. فقد فشلت في الحصول على عمل حكومي رغم عام من الصراخ أمام مقر العمالة، وفشلت في العثور على عمل قار في الصحافة، كما حلمت دائما عوض الاشتغال كمتعاون بالقطعة...».

يسرد رشيد نيني حكاية البحث عن عمل في ورش بناء بمدينة مرتيل، وكيف فشلت المحاولة. ثم يحكي عن العودة إلى تطوان، وكيف غالبه النوم بعد يومين من التعب، فاهتدى إلى فكرة اقتناء تذكرة الدخول إلى سينما أبنيدا، حتى يتمكن من النوم لساعتين على الأقل. حاول رشيد نيني ورفيقه في السفر البحث عن سقف يأويهما إلى أن يعثرا على عمل، لكنهما قضيا يوما واحدا عند صديق من أيام الجامعة، تم تعيينه في سلك الأمن بمدينة تطوان، ثم اضطرا لمغادرة المدينة والعودة إلى مسقط الرأس من جديد...

وبعد هذه المحكية المؤثرة التي تذكرنا بسردية الكتابة الصحافية وجمالياتها عند رشيد نيني، ألقى الشاعر قصيدة طويلة من ديوانه الجديد، وهي قصيدة تخاطب الحب وتتحدث عن مفعوله السحري في الناس وقلوبهم، حيث يستوقف الشاعر قلبه ليحدثه قائلا: «سمعت أنك تدمي قلوب/ من يفتحون لك صدورهم. سمعت أنك/ تطرد النوم/ عن عيون من يمنحونك ثقتهم/ سمعت أن الرجال/ يخوضون الحروب بسببك/ ويسفكون الدم باسمك، ويحرقون الأرض لأجلك... إلى آخر الحب، وآخر القصيدة. قصيدة تتقاطع مع القصيدة التي تم تقديمها على هيئة لوحة مسرحية أدائية في هذه الأمسية الشعرية الكبرى، وهي تتحدث عن القلب، من خلال لازمة «لو كان قلبي»، حيث يبدأ كل مقطع هكذا «لو كان قلبي نهرا» «لو كان قلبي وردة» «لو كان قلبي سفينة» لو كان قلبي بوصلة» «لو كان قلبي حقيبة» «لو كان قلبي بندقية» «لو كان قلبي مزرعة» «لو كان قلبي رسالة» «لو كان قلبي محارة» «لو كان قلبي وطنا» «لو كان قلبي حديقة»...

وقبل ذلك، قدم الناقد والجامعي المغربي محمود عبد الغني ورقة نقدية موضع فيها تجربة الشاعر رشيد نيني ضمن تيار شعري جارف أعلن وجهر بصوته في تسعينيات القرن الماضي، معلنا ميلاد قصيدة جديدة في مغرب يريد أن يكون جديدا، ويريد أن يحقق طفرة وانتقالا، وأن يشهد تحولات في الكتابة والخيال، كما في واقع الحال...

وتفاعل الحضور مع الأغاني الخالدة التي أنشدها فؤاد الزبادي، ومنها «الليل يا ليلى» و«عيرتني بالشيب» و«قل للمليحة» و«الورد جميل» و«الناس المغرمين» «ما بيسألش علي» و«يا محبوبي»...، حيث استعاد الحضور ذكريات الإنصات إلى ما قدمه عباقرة الطرب العربي، أمثال زكريا أحمد ومحمد عبد المطلب وناظم الغزالي وصباح فخري وعبد الهادي بلخيط ووديع الصافي...

وفي الأخير، قدم الفنان التشكيلي حسن الشاعر والشاعر السوري نوري الجراح هدية للمحتفى به، ويتعلق الأمر بعمل شعري تشكيلي، بينما توج اللقاء بتوقيع الديوان الجديد لرشيد نيني «اعترافات تحت التعذيب».

حسن الشاعر

محمود عبد الغاني

مخلص الصغير

المقاصد التداولية

في ديوان «الغناء على مقام الهاء» للشاعر المغربي عبد السلام بوحجر

عبد الله صدوكي

توطئة

لا يخفى على قارئ قصائد ديوان الشاعر المغربي عبد السلام بوحجر: «الغناء على مقام الهاء»1، ما تستضمره مدلولاتها مِن جوانبَ تداوليّة ذات مقاصد2 إنسانية وشعرية، تَتَقَصَّدُ في مجملها تقْدِيم مجموعة من الرسائل إلى المتلقي، حتى يتمكن من تأدية وظائفه الحياتية بشكل ناجح مؤثر؛ سواء تعلق الأمر بوظائفه الاجتماعية العامة، أم بوظائفه الإبداعية الخاصة، كما ستدفعه إلى تغيير سلوكه، متى حاد عن جادة الصواب، وذلك من خلال تهذيب ذوقه الجمالي وتنمية حسه الإبداعي.

ويمكن تقسيم تلك المقاصد3 إلى ما يرتبط بأدبيات الكتابة الشعرية وبخصوصياتها الجمالية، من جهة، وإلى ما يتعلق بتفاصيل الحياة في بعدها الجمالي من جهة أخرى، وهي مقاصَد/توجيهات دونها خبرة طويلة بمتاهات الكتابة الشعرية، وبمنعطفات الحياة الشائكة، تشعر المتلقي بأن ذاك الشاعر عارك الحياة وصارع أمواجها العواتي، ماخرا عبابها عبر مراحل حياته، لذلك سيحتاج -لا محالة- إلى الاستفادة منها والاستهداء بها، كي يعيش حياة متوازنة اجتماعيا وثرية جماليا، وبهذا البعد التداولي يكون الشاعر بوحجر قد نجح في تجسيد إحدى أهم وظائف الشعر وأهم قصدياته، التي ترهن وجوده للاستمرار والديمومة، بما هما شرطان ينهض الشعرُ على وجودهما، ويكتسب بفضلهما تعاليا عن آلة الزمن المتلون المتعاقب، وينتصر انتصارات تترى على كل أشكال القبح وألوان الشر المبثوثة في هذا الوجود، وإذا كان ذلك كذلك، أمكننا اعتبار شعر عبد السلام مدرسة شعرية متعددة الوظائف والمقاصد؛ ففي الإبداع، يقدم عبر قصائده دروسا شعرية لكل من رام تطوير كتابته الشعرية، أما في الحياة في بعدها الجمالي، فهو يمثل منارة هادية تجنب الإنسان السقوط في دياجي الرمادية والقبح والإفلاس الأخلاقي، الذي يتربص به.

المقاصد الشعرية

ومن المقاصد الشعرية التداولية، التي تؤسس لوعي عميق بمقصديات الشعر وبوظائفه عند الشاعر بوحجر، نذكر ما قدمه للشعراء عامة والمبتدئين منهم خاصة، من توجيهات مرتبطة بالعملية الشعرية وبأجواء إنجازها، وحسبه في ذلك أنها ستثوّرُ أعمالهم الشعرية وتطورها، بما سيمنحها خصوصيتها وفرادتها، وإلى ذلك أشار في المقطع الشعري الآتي، قائلا:

وكما الشعر يسكنك اسكنه..
كنه..!
فما أنت إلا صدى
لخطاك على سلم الرعشة الأبدية
يا عبد حرية الروح.
روحك صانعة السحر همسا
وقاهرة القهر جهرا
[...]
لو كنت تخفي شعورك بالسحر والحب
كنت تأبطت يا صاحبي خنجرا تحت ثوبك
ثم احتواك الظلام
ومات السلام
فواصل غناءك
إن الغناء الجميل دليل على العافيه..
وإذا حضر الشعر
لا تنس- لا تنس نونك في القافيه. 4

فالشاعر هنا يدعو مخاطبه، الذي يسكنه الشعر إلى أن يمنحه كله، وأن يتفرغ لرعايته وتعهده، إذا ما أراد أن يصعد إلى أعلى درجات النجاح، التي ستؤبد اسمه و ستخلد شعره، لذلك فالشاعر يصر على تحفيز مخاطبه المتلقي على أن يواصل الشدو والغناء الشعريين الدالين على صفاء قريحته وعافيتها، وألا ينتكص أو يرتد على عقبيه، كما يطلب منه ألا ينسى نون النسوة/ الأنثى في تباريحه الشعرية، التي ستمنحه إشعاعات تسحر القراء، وإشراقات تضيء مدلهماتهم، وتجنبه هو الانطفاء الشعري، الذي قد يؤدي به إلى الضياع في دهاليز رتابة الحياة ورماديتها القاتلة، في حين يرى أن صمته وإخفاءه لعشقه المرتبط بالجمال وبعوالمه الساحرة، سيؤدي به إلى الانطفاء الشعري.

ومن مقاصده الأخرى، التي ستساعد المبتدئ في الكتابة الشعرية على تنمية فعل الكتابة الشعرية لديه، قوله ناصحا له:

اشحذ خيالك بالقراءة
في القراءة ألف تمرين لترويض الخيال
على النزول إلى سريرك كالمطر
هي كالهبوط إلى المهاوي بالحبال
أو الصعود إلى الجبال
إذا انتهيت من القراءة
لا تقل إني فهمت!
أعد قراءة ما قرأت من الغلاف إلى الغلاف
تجد جناحك في الأعالي عائما..!

يحفز الشاعر في هذا المقطع الشعري الشاعر المبتدئ على ممارسة فعل القراءة المتواصلة، حتى يتمكن من شحذ آليات التخيل، التي في مُكنتها التحليق به بعيدا في عوالم الخيال، ومن ثمة، سيستطيع دون شك الإتيان بالمشاهد الشعرية المتفردة الجديدة، التي ستبهر ذوائق القراء المحبين للشعر، كما حثه على ضرورة إعادة فعل القراءة وترسيخ سيرورته في نفسيته، حتى يستطيع التوقل والعروج إلى أعالي الخيال، ذلك الخيال الخلاق المبدع، الذي سيمنحه شحنات إبداعية، تحفز فعله الإبداعي على الكتابة والإنتاج الشعريين، وهو بهذا الصنيع المقاصدي العميق، يكون قد مثل دور الموجه الشعري أحسن تمثيل، فلا هو متقوقع في ذاتية نرجسية متضخمة الأنا، كما نقرأ لدى كثيرين ، ولا هو ممن يهذون بترهات تعبيرية فاقدة للشعرية ولأهدافها الجمالية، بل هو منارة شعرية تضيء مدلهمات الطريق الشعري ومتاهاته، وإلى ذلك أشار بقوله:

غير طقوسك..!5
لا تنكسر لغرورهم.. لا تنكسر..!
بالكاف و النون
انتصر..!
فجر صراخك في الأمل..
ورياضة الجري الخفيف
على حدود الفجر
تنس الإخوة الأعداء..
حافظ على ملح التوازن فيك..!
لا تغضب على عجل.»6

إن تغيير الطقوس في الحياة وفي الكتابة عمل مهم بالنسبة للشاعر، إذ إن تغييرها سيمكنه من إحياء بواعث الإبداع لديه، وسيفجر كذلك منابع الكتابة من قريحته، لذلك نجد الشاعر في الأسطر الشعرية السابقة، حريصا على توجيه متلقيه الشاعر إلى ضرورة عدم الانكسار لغرور من سماهم بالإخوة الأعداء، الذين يعانون من مرض تضخم الأنا، ملحا عليه بالانتصار للأمل والاهتمام بالرياضة عند حدود الفجر، حتى لا يلقي بالا لعداوتهم المجانية، التي قد تؤثر عليه، وعلى ملح توزنه النفسي، الذي قد يؤدي به إلى انفعال بركاني غاضب، يعكر عليه صفو هنائه وراحة باله، وهذا ما يرسخه المقطع الآتي، الذي يقول فيه الشاعر:

غير طقوسك..
فانتصارك في سلامتك
وانتصارك في خيالك
وانهيارك في صراخك..!
نقطة الضعف القوية فيك
أنك لا تهادن ، لا تجامل..!
[...]
اذهب صديقي عند أمك
قل لها ما ألطفك!
اجلس إليها ساعة
أو ساعتين تر العجب!
شذب غصون شجيرة العنب الطويلة باكرا
وشجيرة الورد المطل على سياج الدار
امنح بعض وقتك للنبات
تكن خفيف الظل والدم.. سالما..!7

يواصل شاعرنا في هذا المقطع دعوته الشعرية النصوح، التي يقدمها لقارئه الشاعر، دعوة كلها انتصار إلى الذات، باعتبارها ذاتا إنسانية تغلب قيم الخير على قيم الشر، وتغلب الجمال على القبح، ذاتا ليس سمتها الصراخ والتناطح المجاني، أو المهادنة الزائفة مجاملاتها، بل سمتها الرهافة والصدق، والثبات على المواقف، وفي مواصلته للنصائح المسداة، يطلب منه إذا ما أراد خفة الظل والدم و قرارة العين والفؤاد، فليذهب لزيارة أمه، إن كان يبعد عنها، أو ليشذب نباتات حديقته وأشجارها، فهي المهدئ والبلسم، الذي به تجنب متاعب الحياة وسطواتها المتعبة.

ولا مرية في أن هذه النصائح الثمينة، لابد وأنها ستؤتي أكلها الشعري الجميل، الذي يتغياه الشاعر المبتدئ، ولا براح في أنها ستحمي الملتزم بها، والمطبق لها، وستحقق له الاستقرار النفسي المفضي إلى الإبداع الشعري.

ومن الطرائق المفيدة لاستجلاب قلوب الخصوم والشنأة، أن يحرص على محاصرتهم بإبداع أجمل القصائد، وبالإتيان بأروع الفرائد الشعرية، التي ستشفي قلوبهم العمياء، وتطهر نفوسهم الشانئة اتجاهه، وهذا ما أشار إليه

في القبسة الآتية، التي يقول فيها:

غير طقوسك بالذهاب إلى البعيد..
أجب خصومك بالقصيدة وحدها..
اهجم عليهم بالتحية..
كالرذاذ إذا همى
في لوحة أو جملة شعرية
تشفي القلوب من العمى! 8

ها هو الشاعر يواصل تقديم توجيهاته الشعرية القيمة، التي لا تعكس مرسا بالشعر وحده فقط، بل خبرة بطرائق التعامل مع خصومه، الذين كشف معدنهم الخسيس، ونفسياتهم الدنيّة، لكنه لم يقابل الخسة أو الدناءة بمثلها، بل قابلها بالقصائد المعتقة، والأشعار المرققة، وهذا ما يوصي به متلقي شعره، فهو يطلب منه أن يهجم على خصومه وأعدائه بالقصيدة الرائعة، التي تفحمهم و تزمهم، فمهما أرادوا قطع تغريداته الشعرية، لن يستطيعوا فعل ذلك، و كيف يستطعون إسكاته، مادام نهر الجمال العذب دفوقا يجري عبر وهادات روحه:

ولأن الجمال يصرف أفعاله
في حياتك منذ الطفولة..
واصل غناءك يا صاحبي..! 9

هي إذن دعوة لمواصلة الإبداع من خلال تصريف أفعال الحب والجمال بين الناس بواسطة باقات الشعر العطرة المقتطفة من نهر الخيال الجميل:

والشعر كان و لم يزل
نهرا مليئا بالخيال
يمتد من جبل الأزل
ويصب في بحر الجمال. 10

هو الشعر، إذن، نهر من الخيال الجميل، المفعم بشحنات البهاء المؤدية إلى ما وراء النجوم، يعطيك أكثر من معنى في الحياة، ويلبسك أفضل المشاعر الرهيفة، ويحطك في أبهى المقامات الوريفة في دنياك، وفي عيون محبيك ومتلقيك، وإلى شيء من هذا يقره شاعرنا قائلا:

سبيلك أن تتقدم يا كائني
بالرجوع إليك
فترنو إلى الآخرين بعين الرهافة
إن الرهافة سر الوصول إلى ما وراء النجوم
هناك رسائل مأهولة بالإشارات
تلمع كالبرق من ذبذبات الوصال
فدرب شعورك أكثر
حتى يرق..يرق
وروض خيالك
حتى تصدق أن خيالك فوق الخيال
كأن تتأمل نفسك خارج نفسك
تمشي إلى حلمها. 11

من هنا تتبدى وجاهة وقيمة ما يقدمه الشاعر من اقترحات جمالية ، تحملك على جناح الجمال إلى مقامات الكمال، حيث الشعر دوما منبع حيوات كثيرة، تبدأ بالتصالح مع الذات ورؤية الآخرين بعين الرهافة وعيون الحب، ثم تنتهي إلى النجاحات الباهرة والشهرة الآسرة، التي ستوصلك إلى حلمك المشتهى هنالك، فروّض خيالك ورَقّقه أيّها المبدع المبتدئ، حتى تبلغ مراقي الكمال الشعري والأخلاقي، و لتقول مع الشاعر:

من نشيد الأعالي الذي هزني
في ظلال الطفولة
حتى اشتعال الكهولة
ما زلت أحفظ لا زمتي:
كن جميل السريرة
تحفظ لنفسك عبر الزمان
سنى هائلا..! 12

إن جمال السريرة وصفاءها يتيحان لك الحفاظ على فرادتك السنية، هذه الفرادة هي التي تجعلك دائما في سعي دائب إلى بناء حياة أجمل، حياة ملؤها الحب والخير الدائمين، فمتى تكن سريرتك أنقى، فإنك في عيون الناس أبقى، وذكراك بينهم مستمرة وثقى.

المقاصد الإنسانية

لم تتوقف مقاصد الشاعر عبد السلام عند حدود النصائح الشعرية، التي تضيء للقارئ بعامة طريق الجمال الشعري، وتمنح للشاعر المبتدئ أو لغيره من الشعراء فوائد مهمة، ستسهم في تطوير التجربة الشعرية، بل تجاوز ذلك نحو تقديم توجيهات إنسانية، تؤكد أن الشاعر يستحضر دورها المركزي في تمرير رسائله الشعرية، ويعي كذلك دورها الفعال في تكريس القيم الإنسانية النبيلة.

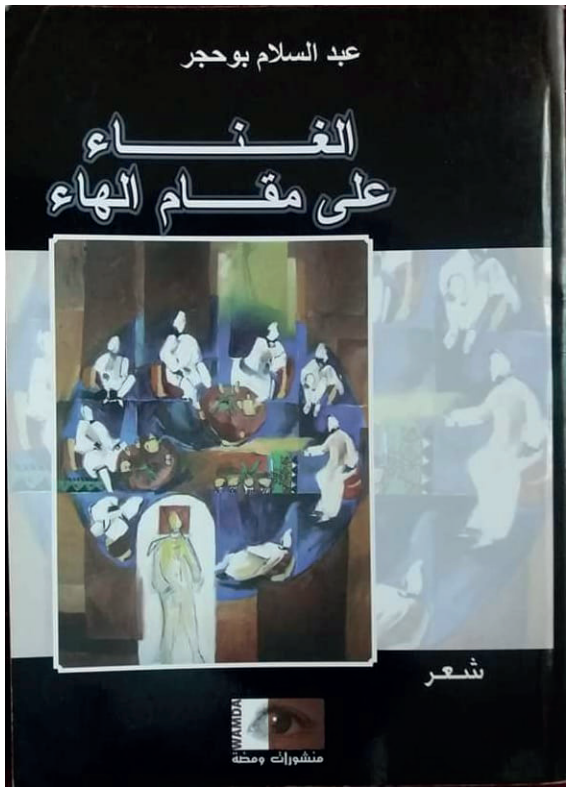

ومن صور النقاء الإنساني الملهم عند شاعرنا، اعتباره الحب أصل كل العلاقات الإنسانية، ولولاه ما استمرت البشرية موجودة، ولذلك فشعاره الذي كان يردده دوما، هو:

إنسانيتي هي ضالتي ومظلتي
وبطاقة التعريف عندي دائما:
ألا أسيء إلى أحد!
الحب أصل الخير.. أصل الحق..
أصل الأصل..
كي نبني الحياة و ما سواه هو الزبد..
هو لحن رحلتنا الذي يبقى
إلى أبد الأبد. 13

ما أجمله من شعار تؤمنه به ذات شاعرنا الطيب، ولقد صدقت، فلا حياة بلا حب، ولا معنى للإنسانية في غيابه، فهو الأصل وأصل الأصل، وما قسمها على مواصلة السير على درب المحبة، متفائلة واثقة الخطى، لا تحركها رياح الخصوم ولا ضرباتهم، إلا دليل قوي على صفاء طويتها ونقاء سريرتها، وهذا ما تؤكدته في المقتبس الشعري الآتي بقولها:

أقسمت أن أمضي إلى
أفق المحبة واثقا
أرنو إلى دنيا العلى
وأعيش عمري صادقا14
[.....]
الرهافة مأواك.. منفاك..
لن تتقدم إلا وهم يرشقونك بالشوك..
لن تتأخر إلا وهم يفرشون لك الورد
سر في طريقك
....إن الرهافة موعدها النصر يا صاحبي..!15

بالرهافة ينتصر الشاعر ويبلغ ما تمناه، معتبرا ضربات الخصوم وتصرفاتهم السخيفة، بمثابة شحنات إيجابية، ستساعده ? ما في ذلك شك- على الوصول إلى المرامي المبتغاة، وستمكنه من تحقيق طموحه الأثير، الذي راهن على بلوغه، بعدما تربع على عرش قلوب الناس جميعهم، و هذا ما تؤكده الفقرة الشعرية، التي يقول فيها:

فرأيتني أمضي إلى
كل القلوب بلا حذر
ورأيتني أعلو على
دنيا التفاهة والحفر. 16

فلا التفاهة ولا الدناءة من رهانات الشاعر الحق، ولا التهافت على المناصب أو المكاسب ديدنه، فهو دوما منزه عنها، وغير راغب فيها، مسعاه دوما الأعالي قيما وأخلاقا، وهذا ما تؤكده الإشراقة الأصيلة:

إني رفضت مناصبي
وقنعت دوما بالرغيف
وتركت كل حقائبي
للآخرين على الرصيف
سأعيش في وطني الأبي
رغم العذاب بخبزتين
لا.. لن أبيع لأجنبي
وطني مقابل موزتين. 17

بنفس زاهدة في الماديات بمناصبها ومكاسبها الزائلة الضحلة، تكشف ذات الشاعر عن قناعة كبيرة تصل حد الاكتفاء بالرغيف وبالخبز صونا لقيمها النبيلة ولمبادئها الأصيلة، التي تشكل أسّ هويتها، والتي لا يمكن بحال التنازل ولو عن جزء بسيط منها، رغم ما قد يقدم لها من إغراءات، وضمن هذه القيم قيمة الوطن ومكانته، ففي روح الشاعر ويقينه، من المستحيل أن يبيعه أو يساومه كما يفعل الكثيرون.

محصلة

هي ذي إذن المقاصد التداولية وأغراضها الجمالية والإنسانية، وقفنا عندها في تجربة الشاعر عبد السلام بوحجر، وهي مقاصد وأغراض تقصّد من خلالها الشاعر المزج بين التوجيه الإبداعي الشعري للشاعر المبتدئ، حتى يتمكن من تطوير تجربته، ومن ثمة، يستطيع أن يضمن لها التألق والاستمرارية، ومقاصد إنسانية سعى عبر التنصيص عليها جماليا إلى إرشاد القارئ المحب للشعر، الذي يروم تحسين ذوقه الجمالي، وتهذيب روحه عبر قراءة النصوص الشعرية العليا مثل نصوص الشاعر عبد السلام بوحجر، التي تنطوي على رزنامة كبيرة من الرسائل الشعرية والمقاصد الجمالية، التي ستسهم -لا شك- في تغيير رؤيته للحياة وللإبداع الشعري، والرقي بها نحو التسامي الجمالي، ليعيش بفضل ذلك حياة مليئة بالجماليات وبالمسرات، التي لا تنساق البتة وراء الماديات الشائهة المشوهة.

هوامش:

1 -عبد السلام بوحجر، ديوان: الغناء على مقام الهاء، منشورات ومضة، ط 1، 2013.

2 -استعرنا مصطلح المقاصد من كتاب: المقاربة التداولية للأدب، تأليف إلفي بولان، ترجمة محمد تنفو وليلى حمياني، مراجعة وتقديم سعيد جبار، منشورات رؤية للنشر والتوزيع، ط 1، 2018، ص:47، و ما بعدها.

3 -يعرّف التداوليون المقاصد بأنها الأغراض الكلامية، التي يهدف المخاطب إلى تقديمها للمتلقي من طريق التلفظ للتوسع في هذا المصطلح يمكن الرجوع إلى كتاب، مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي، للباحث الدكتور أحمد كروم، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2015، صص: 135، 153.

4 - عبد السلام بوحجر، ديوان: الغناء على مقام الهاء، منشورات ومضة، الطبعة الأولى، (2013)م، صص: 122.127.

5 - م.س، صص: 106.107.
6 - م.س، ص: 109.
7 - م.س، صص: 110.111.112.
8 - م.س، ص: 106.
9 - م.س، ص: 121.
10 - م.س،ص: 87.
11 - م.س، ص: 128.
12 - م.س، ص: 115
13 - م.س، ص: 104.
14 - م.س، ص:85.
15 - م.س، ص:134.
16 - م.س، ص: 92.
17-م.س، ص: 89.

الزلزال والأطفال

عبد الحميد الغرباوي

1

قالت الطفلة من تحت الأنقاض تخاطب رجل الإسعاف بصوت خفيض، عاجزة عن تحريك أطرافها، عيناها مغبرتان تستكشفان ما حولها في ذهول:
«عمو طالعني من هون و بصير عندك خدامة»*

وبعد مرور أكثر من 30 ساعة تحت الأنقاض، تم الإعلان عن إنقاذ «آلاء» وشقيقها. وقام وفد بزيارة الطفلة في المستشفى حاملا إليها هدايا وتاجا وضعه أحدهم على رأسها يخاطبها قائلا: «أنت الأميرة ونحنا خدامين عندك».

2

بينما كان الطفل عالقا تحت الأنقاض يستغيث، كان رجل في الخارج عاجزا عن إنقاذه، يلقنه قول الشهادة.

3

سأله صديق عاد لتوه من سفر طويل خارج البلاد عن أحواله وأحوال عائلته.
أجابه: «كلهم بخير إلّا أنا»!
كان قد مر أسبوع على فقده عائلته في زلزال.

4

كان يبتسم لحظة سحبه من تحت الأنقاض..
وأمام دهشة وفرحة من يحيطون به، قال الولد:
« أ رأيتم كيف أتقن لعبة الاختباء، لقد جعلتكم تبحثون عني طويلا»..

5

حين نشلوا الطفلة التي ظلت صامدة تحت الأنقاض مئة ساعة، خاطبتهم بصوت ضعيف قائلة: « السلام عليكم ».

6

حين وصل إليها رجل الإنقاذ المدني، ابتسم في وجهها:
ـ ها أنا أمسك بك؟
ـ وهل كنا نلعب الغميضة؟
ـ نعم، أنسيت؟..
ـ كيف دخلتَ المنزل؟
ـ دخلت من النافذة..

7

فجأة صرخت امرأة متوسلة: « أنقذوا أولادي إنهم هنا تحت الحطام »

أثار صراخها فريق إنقاذ كان يبحث عن أحياء غير بعيد عنها. هرع الفريق إلى حيث أشارت. وعندما أنقذوا أطفالا ثلاثة، بحثوا عن المرأة... سألوا الأولاد عن أمهم فبادر أكبرهم إلى القول: « أمنا ماتت منذ ثلاث سنوات».

8

بعد خروجه من تحت الأنقاض حيث قضى اثنتي عشر ساعة، سأله مبعوث قناة أخبار:
« أ لم تجع كل هذه الساعات؟»
قال:
« كان شخص يرتدي الأبيض، كل فترة يأتي يطعمني ويسقيني ثم ينصرف»

9

ـ لا تخافي عزيزتي
ـ أنا لست خائفة، لكنه مشاغب..ويهدم البيوت..
ـ سيتوقف عزيزتي..
ـ .. ألا ترى أنه يبالغ في شغبه؟
ـ اطمئني، سيتوقف
ـ أخبره أني لا أطيقه.. قل له إنه لا يحسن اللعب مع الأطفال.

لوحة بعنوان «الزلزال» بريشة الفنان السوري هيثم الصائغ

تْرَامَادُولُ

إدريس الملياني

بَارِكْكَ وَحْدَكَ
أَيُّهَا الْمَخْبُولُ !
لَا يَذْهَبَنَّ بِعَقْلِكَ
تْرَامَادُولُ !

لَا جُرْعَةٌ تَشْفِيكَ
مِمَّا تَشْتَكِي
إِلَّا دَوَاؤُكَ دَاؤُكَ
الْعَاقُولُ !

لَا بُرْءَ فِي صَحْرَائِهِ
إِلَّا بِهِ
الْحَاجِ اللَّذِيذِ
وَمُرُّهُ مَعْسُولُ !

وَمُسَكِّنٌ وَمُلَيِّنٌ
وَمُهَدِّئٌ وَمُقَيِّئٌ
وَمُسَهِّلٌ
وَمُسِيلُ !

لِلدَّمْ..ع
شُرْباً أَوْ بُخَاراً
أَوْ طِلَاءً لِلْفُرُوجِ
مُفَرِّجٌ وَمُعِيلُ !

شَوْكُ الْجَمَالِ
وَبَاهُهُ أَقْوَى فَيَاغْرَا
لَا يَمَلُّ وَلَا يَكِلُّ
عَلِيلُ !

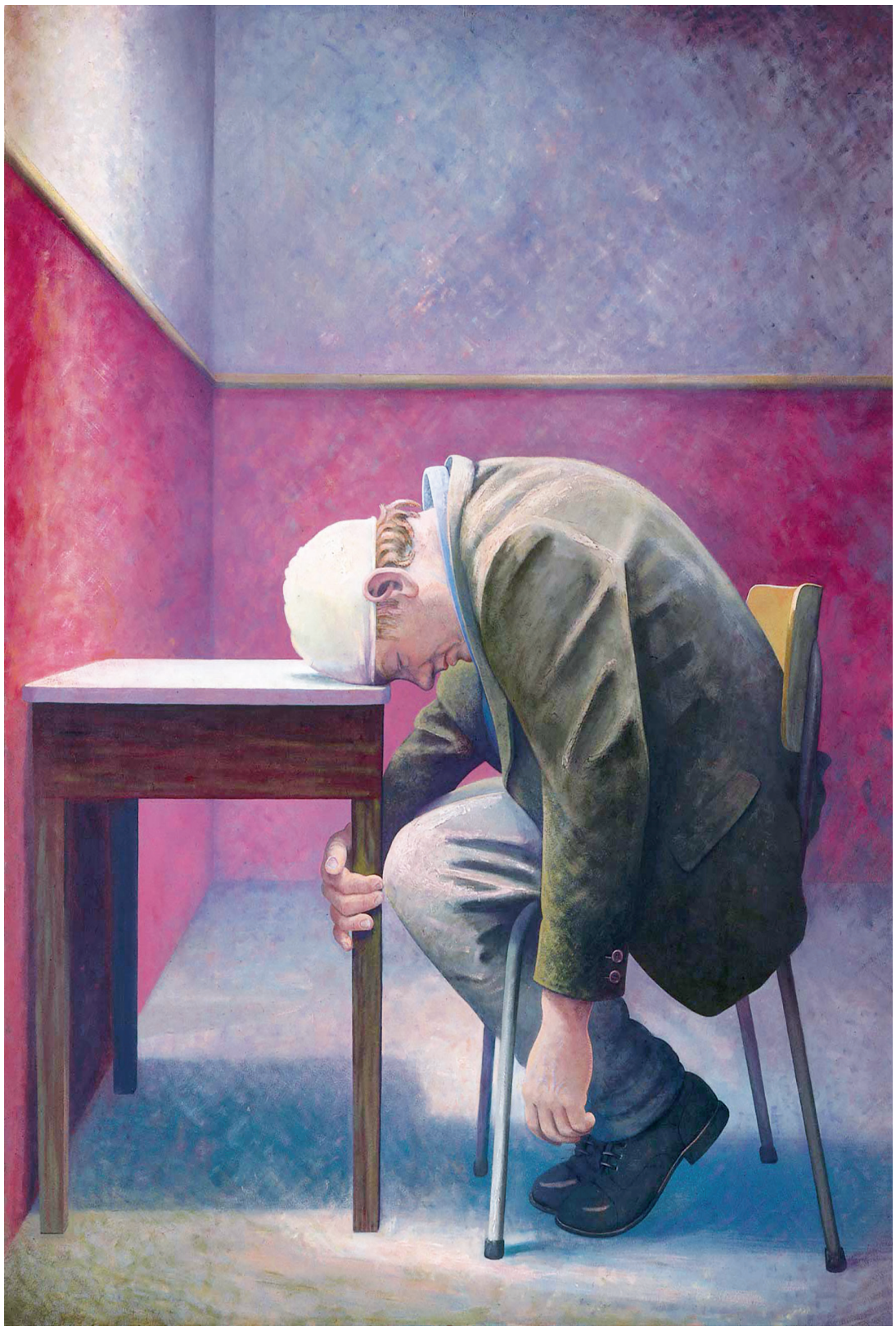

لوحة للرسام الهولندي بيرنار بلانكيرت

لَا صَحْوَ مِنْ دُنْيَا
الْحَيَاةِ وَذُلِّهَا
إِلَّا بِعُلْيَاهَا
وَفِيهَا الْمُشْتَهَى
الْمَأْمُولُ !

لَا تُفْزِعَنَّكَ هَامَةٌ
مَوْتُورَةٌ
عَنْقَاءُ مُغْرِبُ هُولَةٌ
أَوْ غُولُ !

مَا هِيَ إِلَّا نَفْخَةٌ
وَقِيَامَةٌ
تَعْلُو بِهَا
دُنْيَا الْحَيَاةِ
وَتَحْلُو !

مَهْمَا بَكَيْتَ
أَوِ اشْتَكَيْتَ
فَإِنَّمَا هِيَ سَكْرَةٌ
سَرْعَانَ مَا سَتَزُولُ !

ـم ـ بيت مدور.
الحاج : شوك الجمال، العاقول، نبات، فوائده الطبية كثيرة.
ترامادول tramadol : مسكن الم أفيوني.

بنعيسى بوحمالة ناقد مليء بالانتصارات

عبد الرحمن التمارة

ملف

أبلغ الوفاء ذلك الذي لا يطرق الأبواب بل يلج إلى القلب قبل البيوت بدون استئذان ، وذلك ما صنعه الصديق المبدع عبد الله المتقي ، حين فاجأنا بهذا الملف دون سابق تكليف حول الناقد والمترجم الأكاديمي بنعيسى بوحمالة الذي ودعنا إلى دار البقاء صباح الخميس 9 فبراير 2023 ، وقد كتب المتقي لهذا الملف الذي جمَّعه واختار اسماءه تقديما هذا نصه :

''ودعنا الناقد والصديق بنعيسى بوحمالة'' 1956-2023» ، وبرحيل هذا الناقد المولع بثقافة الأعالي ، يكون المشهد النقدي والأكاديمي المغربي والعربي قد فقد قامة سامية ، ويعتبر الفقيد اسما رفيعا في مجال الكتابة النقدية الشعرية المغربية والافريقية والعالمية ، فضلا عن دوره التربوي ، مما أغنى رفوف المكتبة بالعديد من المؤلفات النقدية وبمناهج حديثة.

ومساهمة منا في تكريس ثقافة الاعتراف بهذه القامة النقدية تأتي هذه الشهادات تقديرا لمساره النقدي المولع بالشعر» .

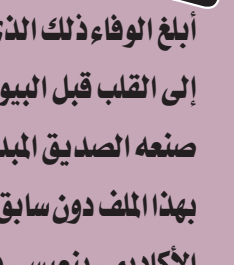

جمَّع مواد الملف : عبد الله المتقي

يكفي التّمعّن في حجم المنجز النقدي ونوعه1 عند السي بنعيسى بوحمالة، رحمه الله، كي يتبيّن أنه ناقد فذ يشتغل بمنطق قوامهُ «الانتصار» للمعرفة، فتراءى أسّ فعله النقدي. إن إبستيمولوجية النقد عنده، المفارق بالضرورة للنقدِ الإيديولوجي، دالةٌ على فهم نقدي يؤطره وعي نوعي بالنقد والأدبً من زوايا تاريخية ونظرية وتحليلية. بهذا المعنى، فإنّ فاعلية النقد الأدبي، عند بوحمالة، مقترنة بمجمل أعماله النقدية؛ بوصفها منجزات مؤطرة بشروط إبستيمولوجية خاصة، وقائمة على الإجادة والإحاطة والإنتاجية المعرفية. هكذا، يتراءى بنعيسى بوحمالة، أسكنه الله جنته، كأنّه المقصود في كلام فرانسيز سبارشوت حين قال: «إنّ كلّ كاتب جيّد للنّقد يلمّ إلماما كافيا بالكتابة، مما يؤهله لنقد الكتابة»2.

يتراءى المنجز النقدي للمرحوم بوحمالة متميّزا، ويظهرُ كاشفا اقتراحات نظرية نوعية، ودراسات تحليلية عميقة لنصوص شعرية عربية ومغربية. إنّ تميّز تجربة بوحمالة النقدية مصدرها تفعيل النقد، على النصوص الشعريةٍ المتعدّدة والمتنوعة، بغاية جعله «منتصراً» على الموضوعية والعلمية. هكذا، تتراءى أعمال الناقد على «حُسن الإنصات» النقدي لعدّة نصوص شعرية قائمة على شعرية العمق الإيحائي. ذلك، قد جعل نقدهٍ مفيداً ومهماً، لأن جوهره المعرفي محكوما بالإضافة والتجديد؛ مما يُسْهمُ في بناء «حياة» أخرى للنصوص الشعرية.

تبدّى منجز بوحمالة النقدي، إذاً «منتصراً» لقراءات نقدية تأويلية خلاّقة؛ لأنها تجلت قراءات توجّهها غايات معرفية، لا نزوات فوضوية، ما جعلها منشدّة للفكر المنتج، والنقد المنهجي الفعّال. يتّضح، إذا، أنّ النقد عند بوحمالة، أسكنه الله جنته، يعدّ «حركة» إبستيمولوجية تشتغل على النص الشعري بمنطلق (الرؤية والإنجاز) التجديد والكشف، وبطرق (المنهج) تحكمها دينامية قرائية مُنْتجة. وبالتالي، فإنّ النقد عند بنعيسى بوحمالة اختيارٌ معرفي مؤسَّس يقيم في الوجود النقدي، وليس اختياراً متصلاً بـ«نقد المواكبة» المقيّد بإرغامات التعريف بالنص الشعري الجديد والجيّد. بهذا المعنى، فإنّ الفعل النقدي عند بوحمالة قد «انتصر» لفاعلية النقد، فصيّره مقترناً بتواصل إبستيمولوجي مع نصوص شعرية تخفي أكثر ما تُظهر، ومع قارئ طامح للمزيد من المعرفة بهذا النّصوص.

انتصر نقد، المشمول برحمة الله، بنعيسى بوحمالة لـ«مغامرة القراءة»، بلغة بارت، التي تتّجهُ لفهم النص الشعري في ذاته ووجوده، عَبْر إجراء قرائي تأويلي يخلّصُهُ من أيّ ثبات دلالي. إنّ ذلك صيّر القراءة النقدية عند بوحمالة مُنْتجَة و«مقبولة» بالإجماع؛ لأنها قراءة أغفلتَ تبجيل المبدع الشاعر، وحفرت في الطبقات العميقة لنصّه، قصد كشف الغائب والمحتجب فيه. بهذا المعنى، فإنّ المرحوم بوحمالة انتصر لنمط نقدي حكمته خلفيات ورؤى وأهداف إبستيمولوجية، فتبدّى منجزاً نقدياً ممتلئاً فكرياً و معرفياً . إنّ نقده أطره التجرّد الموضوعي، مما أسعفه في فهم كيفية التعامل مع النصوص الشعرية، انطلاقاً من دينامية تواصلية وجّهها وعي نقدي بتموقع الذوات المساهمة في تلك الدينامية؛ لأن «فعل النقد يعني نسيانا للذات الشخصية أمام نوع من الذات المتعالية التي

تتكلم في العمل»3.

تميز نقد بوحمالة بـ«الانتصار» لفاعليته وإنتاجية القائمة على أسِّ التجديد والإضافة، وعلى التجاوز والمغايرة، ثم على الكشف والإبانة. لذلك، فقراءة منجزاته النقدية تبيّن أن استناده على القراءة النقدية الفعّالة قد حقق وعياً عميقاً بالنصوص الشعرية؛ سواء أكان وعياً متّصلاً بعوالمها الكائنة والممكنة، أم كان مقترنا بآليات بنائها الفني وتركيبها الجمالي. أن «انتصار» نقد بوحمالة للتميّز، في فاعليته الإنجازية، قد مكّنه من فتح آفاق النصوص الشعرية على احتمالات دلالية أخرى تمسُّ الثقافة والهوية. ظهر ذلك جليا في جل كتبه النقدية النوعية المشار إليها في الهامش الأول من هذه المقالة الشهادة.

يظهر أنّ إنتاج النقد الأدبي عند المرحوم بوحمالة يمرُّ عَبْرَ ذاته الناقدة؛ بوصفها ذاتاً تفكر، وتخطط، وتنجز، وتراجع، وتتجاوَز ذاتها في كل إنجاز جديد. إنها ذاتٌ تؤمّنُ الانتقال من مجهول الفنّ الشعري إلى مَعْلُومه، ومن احتجابه وخفائه، بفعل مضمرات ولّدتها طرق بناء عوالمه دلاليا وجماليا وتنظيميا، إلى انكشافه وظهوره، كأنّ خطاب النقد، بوصفه تحليلاً ودراسة، عند بوحمالة تراءى قائما على مرتكز معرفي هدفهُ «الانتصار» لتنوير الفنّ الشعري، بفعل مساءلة بنيَاته وأنساقه وأفكاره، وكشف عوالمه وأبعاده وانتظامه. وفي انتصاره ذلك، شيدّ نمطاً نوعياً من النقد مبتدأه الفعالية، ومنتهاه الإنتاجية. لذلك، يحقّ لنا أنْ نفخر بالمرحوم بنعيسى بوحمالة بوصفه إنساناً منتصراً للأخلاق الرفيعة، وبصفته ناقداً متمكناً من ممارسته النقدية.

أقول في الختام، حين يمسّ الموت إنساناً نبيلاً، وباحثاً مقتدراً، وناقداً فذاً، يحظى نُبْله واقتداره وقوته النقدية وأخلاقه النبيلة بإجماع معارفه، مثل المرحوم الناقد بنعيسى بوحمالة، تأكيداً، يكون الفقد فادحا، والألم عميقا، والفراق قاسيا. لهذا، في خضم الحزن على هذا الناقد الجهبذ، لا يسعني إلا الدّعاء له بالمغفرة والرحمة.

هوامش:

1 - لا أعني مجمل إنتاجه النقدي والترجمي، بل أقصد أعماله النقدية المخصّصة لنقد الشعر ودراسته، كما تجلى في الأعمال الآتية: «النزعة الزنجية في الشعر المعاصر: محمد الفيتوري نموذجاً» [2004، 2014] ، «أيتام سومر: في شعرية حسب الشيخ جعفر» [2009]، «شجرة الأكاسيا: مؤانسات شعرية في الشعر العربي المعاصر» [2014].

2 - فرانسيز سبارشوت، «الإشكال في مشكلة النقد» ضمن: ما هو النقد، ترجمة: سلافة حجاوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989، ص 21.

3 - بول دي مان، العمى والبصيرة: مقالات في بلاغة النقد المعاصر، ترجمة: سعيد الغانمي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، عدد 189، ط1، 2000، ص 86.

شهادة

كان متواضعا ومسكونا بالأدغال المعرفية

الطيب هلو

قبل أن أعرف الناقد والمترجم بنعيسى بوحمالة بصفة شخصية كنت مكتفيا بقراءة ما يكتب. تلك الكتابات النقدية كانت تخلق لدي، بوصفي قارئا، أفق انتظار خاص عن شخصيته. أتخيله شخصا هادئا لا يستعجل شيئا ومترويا ورصينا لا يسرع إلى إصدار الأحكام، وأراه مترجما مبدعا في اختيار ما يترجم وفي طريقة ترجمته مهووسا بأسماء لا نعرف عن جلها غير الاسم، ولعل في «مضايق شعرية» دلائل لا تخفى. أما الأعمال النقدية التي صدرت تباعا فترسم صورة الناقد المعني بشعراء الهامش المقصيين من دائرة الضوء، أو الذين تمت إضاءة أعمالهم إضاءة خافتة، كالشاعر حسب الشيخ جعفر في «أيتام سومر في شعرية حسب الشيخ جعفر» أو محمد الفيتوري في «النزعة الزنجية في الشعر المعاصر» وغيرهم في «شجرة الأكاسيا: مؤانسات شعرية» بجزأيه المغربي والعربي. أما المقالة التي لا تزال محفورة في الذاكرة لما اتسمت به من عمق في التحليل وجدة في اللغة النقدية، تلك اللغة التي كان ينحت فيها كلمات خاصة به واشتقاقات لا تجدها عند غيره فهي مقالته الطويلة عن «كتاب الحب» لمحمد بنيس.

شاءت الظروف أن نلتقي في مناسبات مختلفة. أول لقاء جمعنا كان بالملتقى الدولي السادس بجرسيف سنة 2013 الذي اكتفيت فيه بالتحية المضرجة بالمهابة ثم توالت اللقاءات، وأهمها ملتقى سجلماسة الدولي للشعر والتشكيل سنة 2018 بالراشيدية الذي فسح لي مجالا واسعا لأتعرف عليه عن قرب وانهل من معين ثقافته. أما آخر لقاء فكان بالناظور. على هامش الملتقى الخامس المخصص للكتابة النسائية سنة 2019.

في تلك اللقاءات اكتشفت شخصا جديرا بصفة مبدع؛ رجلا يبدع في تعامله اليومي مع الآخرين. هادئ، ودود، متواضع ومسكون بالأدغال المعرفية فلا يتحدث في ما هو متداول، وإنما يعبر بك حديثه إلى قارات وحضارات لم تدخل دائرة معارفنا بالشكل اللازم؛ من أقصى شرق آسيا إلى عمق إفريقيا. تتيه به موسوعيته أحيانا فيشرد عن موضوع مداخلته قليلا فتجد نفسك في عوالم لا متناهية في استرسال عجيب وفصاحة شاهقة.

ترجل الفارس ورحل بهدوئه المعهود فلم ننتبه إلى انسحابه الوديع فترك في القلب حرقة وغصة.

بنعيسى بوحمالة

ناقد قاده الولع المبكر بموسيقى الأفارقة الأميركيين إلى أسماء وتيارات الشعر

محمد الدوهو

كان اول لقاء لي بالناقد والمثقف بنعيسى بوحمالة بجامعة مولاي إسماعيل بمدينة مكناس، في لقاء ثقافي جمع ثلة من النقاد والجامعيين المغاربة حول الرواية المغربية، بدعوة من الناقد عبدالرحمان بوعلي سنة 2008...كان اللقاء رائعا وممهورا بمداخلات ونقاشات ثقافية عميقة حول الرواية المغربية وصيرورتها التاريخية والجمالية...وآنذاك كان بوحمالة هو رئيس الجلسة التي شاركت فيها بمداخلتي، وفي تقديمه لي اكتشفت أن بنعيسى بوحمالة رجل يعترف مع ما تحمله الكلمة من دلالات ثقافية وإنسانية بالتجارب النقدية والثقافية خارج أسوار الجامعة المغربية، في ميدان العلوم الإنسانية التي تعاني اليوم من القحط الثقافي والنظري لأسباب يطول شرحها في هذا المقام، لكن الأجمل في بنعيسى بوحمالة رحمة الله عليه هو أنه كشف لي يومها، وهو ما فهمته مؤخرا، أنه من المثقفين القلائل الذين يعرفون أتم المعرفة أن الجامعة المغربية، وتحديدا كليات الآداب والعلوم الإنسانية، في أمس الحاجة إلى مراكز للبحث العلمي منفتحة على المنجز الثقافي الذي ينتج خارج أسوارها، لتعميق سؤال الذات الثقافية المغربية في صيرورتها المحلية والكونية ومنجزه النقدي الرائع بوحمالة يكشف عما أقول، أول لم يقل في أحد حواراته "الموسيقى هي ما يقودني إلى فضاء هذا الشعر وتياراته وأسمائه، أقصد ولعي الباكر بموسيقى الأفارقة الأميركيين، كالجاز والبلوز والسّول والغوسبل، في ارتباطها بالذاكرة والمعيش، ما تعكسه قرائن شعرية، قوّة وفعلاً، في لباسهم الزّاهي وحركيّة أجسادهم وطقوسيّة بهجتهم أو حزنهم، في لكنتهم الإنجليزية المستعذبة وموسيقاهم الشجيّة"، ويضيف قائلا: "جاذبية كهذه هي ما قادني، لدى زيارتي لنيويورك، منذ أربع سنوات، إلى أن أقضي معظم الوقت في حيّ «هارلم" الخرافي. معقل السّود الأميركيين. ألم ينعت فديريكو غارسيا لوركا في ديوانه «شاعر في نيويورك»، الذي كان ثمرة زيارته الأميركية التاريخية، السّود بملح أميركا؟ عبر بوّابة الموسيقى بدأت قراءتي لأدب السّود الأميركيين، شعراء وروائيّين ومسرحيّين، وحين اكتشافي، وأنا طالب في الجامعة، التجربة الشعرية الأفريقية العربية ممثلة بالشاعر السوداني، محمد الفيتوري، الحفيد الرمزي لعنترة بن شداد وأجيال من الشعراء السّود في التراث العربي، وكأنّما كان الأمر بمثابة إيقاظ لتلك الترسّبات والأرصدة التي استقرّت في وجداني عن الموسيقى السوداء، والنتيجة هي تصميمي، وقتها، على تعميق معرفتي ليس فقط بتجربة الفيتوري وتجارب أقرانه السودانيين، بل وكذلك بالمدار الأوسع الذي صنعته أسماء أفريقيا من إيديولوجيا ونظرية وتعبيرات شعرية وثقافية، مقارنا بين التّعبير الشعري العربي لدى الفيتوري وشعراء أفارقة وأميركيين وأنتيليّين باللغات الفرنسية أو الإنجليزية أو الإسبانية أو البرتغالية. على أن المكسب الأكبر لي كان معرفة أفريقيا أكثر، تاريخها ومجتمعاتها وثقافاتها وجروحها ومآزقها وتطلّعاتها".

أما آخر لقائي به فكان في سنة 2012 أثناء انعقاد مؤتمر اتحاد كتاب المغرب الذي تحول إلى سيارة متهالكة ومعطوبة بقي يسمع مذياعها فقط... كان اللقاء ثقافيا وحميميا مع الصديق القاص عبدالله المتقي والروائي الفيلسوف محمد الشركي وطبعا بنعيسى بوحمالة، تكلمنا كثيرا عن إيزرا بوند وأشياء ثقافية أخرى ثم افترقنا...ذلك آخر لقاء مع بوحمالة الذي مضى إلى مثواه الأخير...لكنه سيظل خالدا في صيرورة ذاكرتنا الثقافية المغربية والعربية.

مصطفى داداش

بنعيسى ...

حس نقدي متسلح بدراسات ثقافية عابرة للحدود

حين تكون النهاية بطعم البداية، وتصبح لوعة الغياب عبورا إلى ألَق الحضور؛ ندرك أننا نودع أديبا وناقدا من طينة خاصة، كيمياؤه شغف بوهجَ الإبداع، وروحه عشق أبدي لصدى الكلمة. لقد آمن الأستاذ بنعيسى بوحمالة - رحمه الله - بجدوى الكلمة الصادقة التي «لا تخرج إلا في ثوب أسود» ، وظل معتصما بالفكر الحر إلى آخر يوم من حياته. كرس جهوده لخدمة البحث العلمي، وتدريب أجيال متلاحقة من المدرسين المغاربة. كما حرص على مواكبة الحساسيات الإبداعية الحداثية، دون التقيد بالحدود الفاصلة بين الأمكنة والأزمنة واللغات والثقافات، فخلّف مدونة نقدية أتاحت لدارسي الشعر مادة غنية تناولت الشعرية العربية باختلاف مرجعياتها ومشاربها الفكرية. ولم تقتصر جهوده على الشعر العربي في المغرب والمشرق، بل إنه مضى يقرأ أعمال شعراء فرانكفونيين في القارة السمراء، متوسلا بخبرته الكبيرة في الترجمة، وحسه النقدي المتسلح بكشوفات الدراسات الثقافية العابرة للحدود.

لكل هذه الأعمال والإنجازات الجليلة التي حققها الأستاذ بنعيسى بوحمالة، فإن رحيله كان فادحا وصادما.على روحه الطاهرة الرحمة والمغفرة والرضوان والسكينة.

عندما يسعف الموت ولا يسعف التاريخ ولا العبارة

مصطفى الشاوي

تتجاذبني في شخصية المشمول برحمة الله الناقد المغربي الكبير والمترجم الأكاديمي الدكتور بنعيسى بوحمالة انجذابات عدة، قد يصعب أن تختزل في ورقة كهذه، أو تستوعب في فكرة محددة في زمان ومكان ما، وهي نابعة من نوعية الروابط والعلاقات والوشائج التي جمعني به لمدة تربو عن ثلاثين سنة. علاقة الطالب بأستاذه، فالقارئ لنصوصه، ثم المشارك بمعيته في أكثر من مناسبة.

وقد أبيت إلا أستهل هذه الشهادة متخذا لها عنوانا مستعارا من إحدى مقالاته الرصينة عن الشاعر المغربي الرائد المرحوم أحمد المجاطي، كتبها في نهاية القرن الماضي، متحدثا كيف أنه شاعر أسعفه الموت ولم يسعفه التاريخ ولا العبارة، وهي متوالية تنطبق عليه، وعلى لحظة الكتابة هذه، التي أجدني فيها أسلك نهجه، وأحذو حذوه، وأقتفي أثره. وأنّى لي ذلك؟ وهو كالضوء كلما اقتربت منه أبهرك، وكالماء كلما حاولت القبض عليه خانتك فروج الأصابع، وكيف يجاري الظل أفقه، ويطاول الفرع أصله، والشط بحره، ولسان الحال يقف عاجزا عن وصفه، حاضرا وغائبا، شخص لا تحتويه العبارة بالفعل، وهو الذي اتسعت جبته حِلما وعِلما. فلم يكن ممن قال فيهم الشاعر:

قدْ يَحوزُ الإنْسانُ علماً وفَهْما وَهْوَ في الْوقت ذو نفاقٍ مُرائي

لعل أول معرفتيَ بالراحل تعود إلى منتصفَ تسعينيّات القرن الماضي، عندما كنت من الطلبة المحظوظين الذين تمدرسوا على يديه بالمدرسة العليا للأساتذة بمكناس بمعية فوج أغلب طلابه أصبحوا كتابا مشهورون حاليا في الساحة الثقافية، في مجالات مختلفة، خرجوا من معطفه الثقافي، كما وصف دوستويفسكي انسلال الروائيين الروس من معطف غوغول. فكان رحمه الله أستاذا له كاريزما خاصة، تميزه عن غيره من الأساتذة الأكفاء والأجلاء، وتجعله محترما لدى الجميع دون استثناء، وكانت حصصه من أعز الحصص المقررة، ننتظرها بشوق حار، وشغف كبير، ولا نشعر بانقضائها، لعدة اعتبارات، طريقته في التدريس، وأسلوبه في التخاطب..

كان رحمه الله أستاذا محاضرا من العيار الثقيل له طابعه الخاص في الإلقاء الذي لا يشبهه فيه أحد، يندمج مع لحظة الإلقاء اندماجا عجيبا حتى لتخاله أصبح والموضوعَ المتناولَ شيئا واحدا، وفي انصهار عجيب، وتناغم تام، وتناول مبهر، يدل عن تمكن ودراية وكثرة الاطلاع، وكان، بدون منازع، ناقدا فذا عميقا ودقيقا، وحصيفا ومتميزا في كتاباته واختياراته شكلا ومضمونا، لغة وأسلوبا، يجترح اللغة والمفاهيم ويطوّعها لتلائم تصورات الخاصة، ويصعب بكل صدق أن تجد شخصا يشبهه في المجالين معا، وهذا أمر يشهد به له الجميع، وهو دليل تميزه وتفرده.

وكان من المستحيل أن تلقاه دون أن يزرع فيك انطباعا خاصا؛ وأذكر أني التقيته غير ما مرة في مناسبات ثقافية عدة بالعاصمة الإسماعيلية مكناس، فكلما شاهدته بمقهى الوطنية بحمرية، أو قرأت اسمه مشاركا، أو مُحتفى به، إلا وهرولت مسرعا قاصدا مقر اللقاء، وبعد فترة ليس بقصيرة، سنلتقي مرة أخرى بمناسبة انعقاد الدورة الثانية لملتقى الرباط بغداد للشعر، فسلمت عليه بحضور صديق لي، وأنا أحييه خافضا رأسي احتراما لشموخه، قال لي بابتسامه المعهودة «ها نحن قد التقيا، أتابع كل اللقاءات الثقافية التي تشاركون فيها بمكناس». وغير بعيد عن هذا الموعد سيكتب لنا اللقاء بملتقى جرسيف الدولي الثامن للشعر والتشكيل، حيث أذكر أنه قدم تدخلا مستفيضا حول تطور الشعر المغربي الحديث والمعاصر. وبعد انتهاء الفترة الصباحية تصافحنا، وقال لي بالحرف «ها نحن التقينا ثانية بعد لقائنا سابقا بالرباط» وهو دليل على كونه كان رحمه الله متتبعا ومهتما بالشأن الثقافي وأصحابه، ومحترما ومقدرا لكل الأقلام الجديدة التي برزت في الساحة، ويعرفها جيدا بالاسم والصفة.

فوداعا يا من تركنا كأيتام سومر دونه نبحث فينا عمن يؤنسنا، ونلتمس صدى ما تركه حولنا من أثر عميق، نتحسس علائق المجاورة ووظائفها في أعماله، منغمسين في شعرية حسب الشيخ جعفر، ومؤنسين بمؤانسات شعرية في ظل شجرة أكاسيا، غاضين الطرف عن عمقنا الثقافي الإفريقي القصيّ، وعن نزعة الشعر الزنوجي العصيّ، وعن الرؤية الأورفيةَ والوعي الممكن، نحو تسطير خطاب استجدائي، يشكل أسطورة رجل ومثقف شهم، أسعفه الموت ولم يسعفه التاريخ ولا العبارة ولا السيجارة.

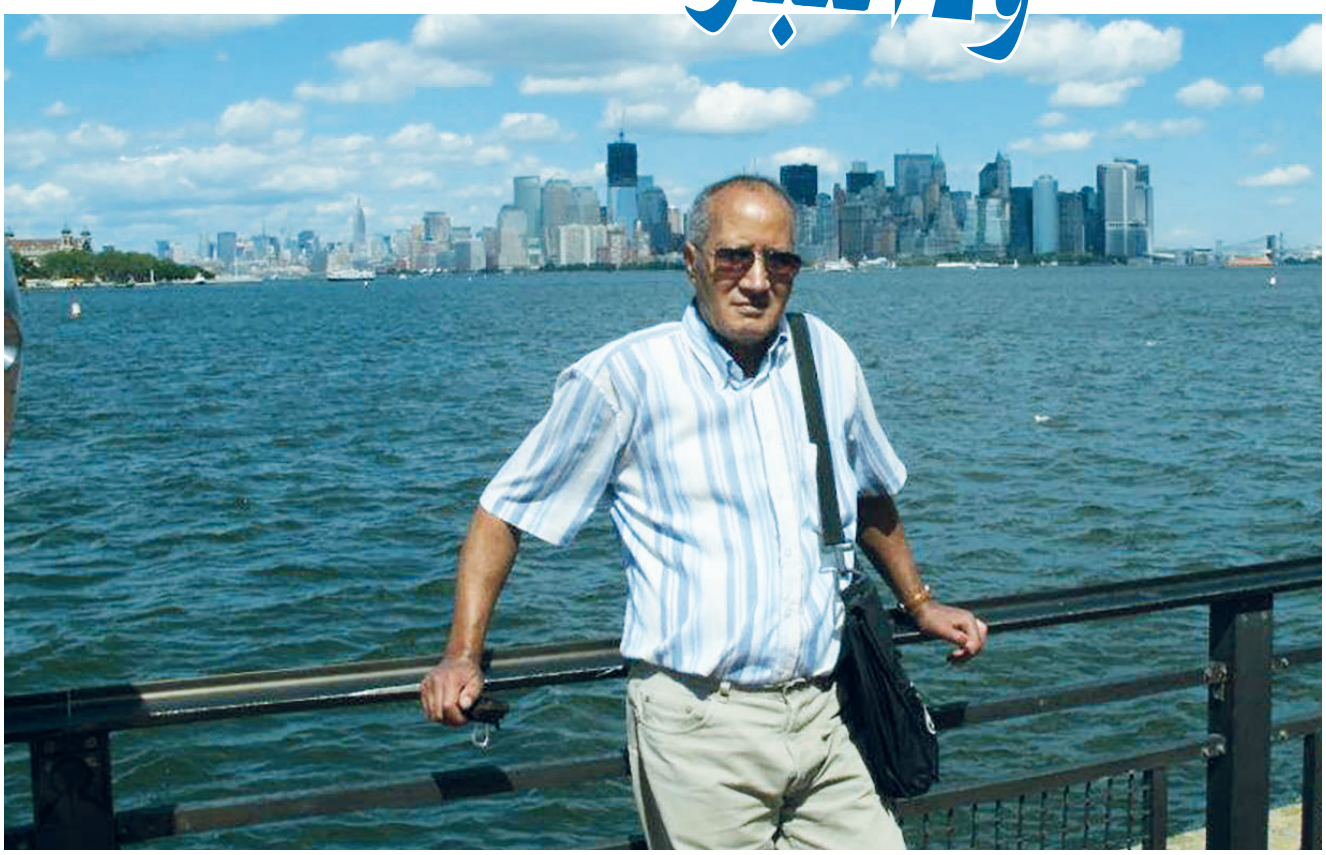

المُعْتصِمُ قارِئُ كفٍّ غَجَري

جواد المومني

إلى عزِّ الدين المعتصم.. « مَنْ مِنَّا اقْتحمَ الصومعةَ على صاحبه ؟«

صُوفيٌّ مَجهول

في لحظة زمنية ارتفع فيها مقام الأصفياء، عرَّفانا لَهم بالحُلول فينا؛ تَمت المُصافَحة. كان لحافَة الصمت صَدى، و كان لِحَدِّ النَجمة بقاءٌ سَرمدي بيننا.

في زمن آخرَ، تمَكن الجنون من سَبيلَيْنا، و احترقَتْ بُسُطُ الحَرف، داهمتْها ناصيةُ السطور و ما بينها. ما عَزَّ عنَ اللقاءات تلكَ كُعوبٌ عالية، إنما أعطافُ المحبةَ و قذائفُ نارها الوَهجةُ، التي استباحَتْ كلَّ الجُسور، و أغرقتْ أسفَلَتها في ذُرى مِنْ نَبش و كشف و معرفة.

يَحقُّ لَصاحبَيَّ سَبْرُ الأغوارِ بعيونٍ كالشمع، تُضيءُ المَساربَ وتُحيط بالخَرَزِ مَدائنَ الشك ولوعةَ البياض.

يحق لك عزَّ الدين، وأنتَ النبيلُ، أن تَرث نَسَبَ الدردار وأليلَ الحَجَر. يحق لك أن تَهوي إلى قعرِ المحيط لمُلاقاة سَمَكَة البِتّا الزَّرْقاء؛ تلك المُقاتلة التي ما تَفْتَأُ تَقرأ المَكانَ المُدَثَّرَ بغُبارِ لَزجٍ عَبْرَ ثُقوبَ زَمَنٍ مُحْتمَل، مُحمَّل بأدوات التَّعريَة النَّفَّاذة.

أعلمُ أنَّك لا تَخشى أسرارَ الجدرانَ، لا ولا تسمح للحقائق أن يغيب سَناها عن جنونك و لو من ثقب الأبواب !! أعلمُ أن غريزتك للكشف تَسبق أعتى الدكتاتوريات في فضح الرسائل و الاشَارات وخرق النهايات، والانصات لشهيقها يتردد بين الرِّداه.

صديقي..

أعلمُ أنك تنظُر إلى تَعرُّجات الكلام وتُمَحِّصُ تَقاطعات الخطاب مثل الغَجريِّ مُحدقا إلى الكف، قارئا مُستطلعا لخطوطها، ما بين قلب و حياة و نَصيب، كما أعلم أن الآلهتين: « سَأمُوديرَا « الهندية، ومثيلتها « فورتونا « الرومانيَة، قد منحتاك وأهدتاك نبوءاتهما المغيبة عنا - نحن أبناء العمى- .

وَرَدَ، أو حُكي، أو قيل، أو نُسب، بل ربما لُفِّقَ زُورًا ...(و أنَّى كان الفعل، لا يَهم. لأن ما سأقوله لو ثبَتَ لأي إنسان، لكان أحق أن يُلصَق به و لو بُهتانا و كذبا وإفكا !!) قلتُ، حُكيَ عن عمرَ بن الخطاب قولُه: « لو كان ليَ الخيارُ بأن أختارَ، لما كنتُ غير بائعٍ للأزهار، فإنْ فاتني الربحُ، لا يفوتني العطر».

لعلك تَستفهم عن محل الشاهد في ما أسلفتُ !! معك كامل الحق، فالالتباس قائم، وسيبقى قائما ما دام إصراري يَدفعَني إلى قول الأشياء بأنصاف الكلمات ... لكنْ، اعلمْ أن الاختيارَ عندي هو مَذهبُ الربْح والعطر معًا في نَسيجَة الجُسور مع صَنيعك النقديَ الابداعي... أطمعُ أنْ يَشمل كتاباتي رَوْحُ النبش الوديعِ، الـذاهـبِ صَـوب الضوء المُتواري.

«مَـنْ يَكتبْ، لا يموتُ أبـدًا « بهذا القول صاح يـوسـف زيـدان، وهـو قـول مُنْبَن عـلـى تـجـاربَ الْكَتَبَة الْمَهَرَة، الـذيـن رأوا في فعْلَيْ الكتابة و المَحو، ثم إعادة الكتابة، نَقْشا منْ رُخام، شَبيها بطقوس الولادةَ والغياب المتكررة عند الأحياء. لذلك، علينا أن نَتشارك عزْف الموسيقى الكونية هاته، أنْ نتعلم مُصاحبةَ غُيوم الحقائق في تَوْريتَها، و أن نسعى لقولها و بَسطها و اسْتمْطارها، بكَل ما أوتينا من قوة الصمتَ و صلابةَ اللغَة، مُعَللين خَطونا بمَذهب مولانا جلال الدين الرومي، إذ الرُّقيُّ لديه، كامنٌ في مستوى الحديث، مادام أن المطَرَ هو الذي يُنَمِّي الأزهارَ، لا الرَّعْد !!

صاحبي..

أقدارُك الكتابيةُ تُنْبي بأمجاد الحرف وصَنائعه. قَدْ تقلَّدَتْكَ دَواهي الزمن، حينَ أقبلتَ على قراءة أكُفٍّ ما يَخُطُّهُ غيرُك، أو حين اصْطَكَّتْ حُروف أقرانكَ خَوفا أولا، ثم خَجَلا ثانيا أمام مَعولِ فَضحَكَ للمستور فيها.

هذه أَمْداءٌ شاهقةٌ، مُشْرعَة؛ إليكَ تَمُدُّ حُدودَ مَتْني، ليَتَخَطَّفَهَا سَنَا مَنارتك. أدعوك إلى قَبول المُخَاطرَة بالسفر عَبْرَ رُبوع الحرف الهاتف، الوَفِيِّ لتلال الروح.

فسبحان جَلَالَ الكلمة، وسُبحان مَنْ تَحَرَّى مَعْبَدَ أنوارها وأنْطَقَها كما تَغَيَّاهَا غيْرُهُ.

مع التحية الخالصة.

مَتَمّ عام 2022.

على حافة الهاوية

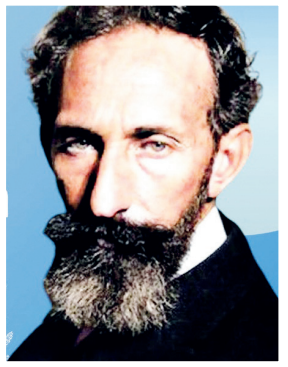

تأليف: أوراثيو كيروغا

ترجمة: محمد بوزيدان

داس الرجل على شيء أبيض، وشعر على الفور بعضة على قدمه. قفز إلى الأمام، وعند عودته رأى ياراكاكوسو ملتفة على نفسها، تنتظر هجومًا آخر.

ألقى الرجل نظرة سريعة على قدمه، حيث تجمعت قطرتان من الدم بصعوبة، وسحب المنجل من خصره. رأت الأفعى التهديد، ودفنت رأسها أعمق في وسط دوامة، لكن المنجل سقط على ظهره، وخلع فقراتها.

نزل الرجل حتى موقع العضة، وأزال قطرات الدم، وحدق للحظة. نتج ألم حاد من النقطتين البنفسجيتين، وبدأ في غزو القدم بأكملها. قام على عجل بربط كاحله بمنديله واستمر في الطريق نحو مزرعته.

زاد الألم في القدم، مع الشعور بالانتفاخ الشديد، وفجأة شعر الرجل بغرزتين أو ثلاث غرز وامضة، مثل البرق، تشع من الجرح إلى منتصف ساقه. حرك رجله بصعوبة، أحس بجفاف معدني في الحلق، يليه عطش حار، أقسم منه قَسَما جديدًا.

وصل أخيرًا إلى المزرعة وألقى بنفسه على عجلة المصنع. اختفت النقطتان البنفسجيتان في التورم الكبير للقدم بأكملها. بدا الجلد رقيقًا وعلى وشك الترهل، متوترًا. أراد الاتصال بزوجته، وانكسر الصوت في جرح أجش من الحلق الجاف. لقد التهمه العطش.

- دوروثيا - لقد تمكن من رمي حشرجة الموت - أعطني مشروب السكر!

ركضت زوجته بكوب مملوء عن آخره، ارتشفه الرجل في ثلاث جرعات. لكنه لم يكن لديه طعم.

- طلبت سكرا وليس ماء! - زمجر مرة أخرى - أعطني مشروب السكر!

- لكنه السكر، باولينو! - احتجت المرأة، مصدومة.

- لا، لقد أعطيتني ماء! أريد مشروب السكر، أقول لك!

ركضت المرأة مرة أخرى، وعادت بخابية، ابتلع الرجل كأسين واحدًا تلو الآخر، لكنه لم يشعر بأي شيء في حلقه.

- حسنا؛ أصبح هذا قبيحًا، تمتم حينها، وهو ينظر إلى قدمه الزرقاء الداكنة وببريق غرغريني. عند الرباط العميق للمنديل، فاض اللحم مثل نقانق سوداء متوحشة.

تبعت الآلام الصارخة بعضها البعض في ومضات مستمرة ووصلت الآن إلى الفخذ. ازداد جفاف الحلق المؤلم، الذي رافقته سخونة أكثر. عندما حاول الوقوف، أبقاه القيء الكامل مدة نصف دقيقة وجبهته مسندة على العجلة الخشبية.

لكن الرجل لم يكن يريد أن يموت، نزل إلى الساحل وركب زورقه. جلس في المؤخرة وبدأ في التجديف إلى وسط بارانا.

هناك تيار النهر، الذي يمتد على مقربة من إجوازو ستة أميال، سيأخذه إلى تاكورو- بوكو في أقل من خمس ساعات.

فالرجل، الذي يتمتع بطاقة كئيبة، استطاع أن يصل إلى منتصف النهر، ولكن هناك أسقطت يداه النائمتان المجداف في الزورق، وبعد قيء جديد - دم هذه المرة - وجه نظرة إلى الشمس التي قلبت الجبل.

كانت الساق بأكملها، التي تصل إلى نصف فخذ، كتلة مشوهة وصلبة للغاية أدت إلى تفجير الملابس. قطع الرجل الرباط وفتح السروال بسكينه: فاض البطن منتفخًا، مع بقع داكنة وكبيرة ومؤلمة للغاية. اعتقد الرجل أنه لا يستطيع الوصول إلى تاكورو بوكو بمفرده، فقرر أن يطلب المساعدة من صديقه ألفيس، على الرغم من أن علاقتهم لم تكن على يرام منذ مدة طويلة.

كان تيار النهر يندفع الآن نحو الساحل البرازيلي، ويمكن للرجل أن يرسو بسهولة. زحف إلى المنحدر، لكن على ارتفاع عشرين مترًا، منهكًا، استلقى على صدره.

ألفيس! - صرخ بأقصى ما يستطيع، واستمع دون جدوى.

- صديقي ألفيس! لا تحرمني من هذا الجميل - بكى مرة أخرى، رافعًا رأسه من الأرض - في صمت الغابة لم يُسمع صوت واحد. لا يزال الرجل يتمتع بالشجاعة للوصول إلى زورقه، والتيار الذي أمسك به مرة أخرى، دفعه بسرعة إلى الهروب.

يمتد بارانا هناك في قاع حوض هائل، تغلف جدرانه، التي يبلغ ارتفاعها مائة متر، النهر. من الضفاف المبطنة بكتل البازلت الأسود، ترتفع الغابة، وهي سوداء أيضًا.

إلى الأمام، على الجانبين، خلفه، الجدار الكئيب الأبدي، الذي يندفع في قاعه الدوامي في تدفقات متواصلة من المياه الموحلة. المشهد عدواني، ويسود فيه صمت مميت. ومع ذلك، عند غروب الشمس، يأخذ جماله الكئيب والهادئ جلالة فريدة.

غربت الشمس حينما كان الرجل، شبه الملقى في قاع الزورق، يحس بقشعريرة عنيفة. وفجأة، وفي دهشة، أقام رأسه بتثاقل: شعر بتحسن. خف ألم ساقه، وتراجع إحساسه بالعطش، وصدره، الحر الآن، انفتح بإلهام بطيء.

بدأ السم يذهب بلا شك. كان على ما يرام تقريبًا، وعلى الرغم من أنه غير قادر على تحريك يده، إلا أنه اعتمد على تساقط الندى للتعافي تمامًا. حسب أنه في غضون ثلاث ساعات سيصل إلى تاكورو بوكو.

أحس باستقرار حالته، ومعها نعاس مليء بالذكريات. لم يعد يشعر بأي شيء في ساقه أو في بطنه، هل لازال زميله غاونا يعيش في تاكورو بوكو؟ ربما رأى أيضا صاحب عمله السابق السيد دوغالد، ومُتلقي الطلبات.

هل سيصل قريبا؟

كانت السماء باتجاه الغرب، تفتح الآن بشاشة ذهبية، وكان النهر ملونًا أيضا. من ساحل باراغواي المظلم ترك الجبل نضارته الشفقية تسقط على النهر، مخترقًا تدفق زهر البرتقال والعسل البري، عَبَر زوج من الببغاوات عاليا وبصمت تجاه باراغواي.

هناك، على النهر الذهبي، انجرف الزورق بسرعة، وانقلب في بعض الأحيان على نفسه قبل تدفق الدوامة. شعر الرجل الذي كان فيه بتحسن، وفكر في هذه الأثناء في الوقت الذي مر دون رؤية صاحب العمل السابق دوغالد. أهي ثلاث سنوات؟ ربما ليس كل هذا الوقت سنتان وتسعة أشهر؟ ربما. ثمانية أشهر ونصف؟ بالتأكيد.

فجأة شعر بالتجمد في صدره.

ما هذا؟ والتنفس...

التقى لورينثو كوبيا بالسيد دوغالد في بويرتو إسبيرانثا يوم جمعة عظيمة... الجمعة؟ نعم، أو الخميس...

مد الرجل أصابعه ببطء.

- في يوم الخميس...

وتوقف عن التنفس.

المصدر:

https://ciudadseva.com/texto/a-la-7uk-deriva/?fbclid=IwAR0a9LY_iVVH5GMuEQ7HtlSgCiVxLRP1wE6M6SAa20QuaUFVwUBr6Q

دلالات التناقض في مجتمع التباينات

في مسرحية «حضرة البوح» للدكتور عبد الرحمن بن زيدان

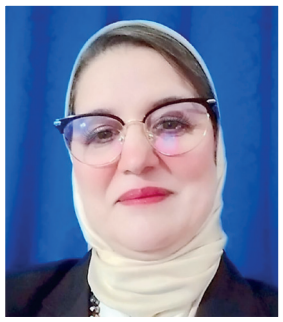

فاطمة ميراث

عتبة موضوعها لمحات عن المسرح العربي

لم يعد الحديث عن المسرح العربي المعاصر محصورا في ميلاد المسرح العربي واستمراريته، ولم يعد النقد المسرحي يناقش مسألة تأصيل هذا المسرح، أو الحديث عن تبعيته للغرب، بل صارت مقاربة عوالم نتاجاته محكومة بتوجهات جديدة تقودها مجموعة من الاهتمامات الفنية النقدية المحمّلة بإكراهات ثقافية عالمية جديدة ساعدت على بلورة الاسئلة النقدية حول المعرفة، وحول إمكانيات الحديث عن الآفاق المنتظرة لهذا المسرح والتعبير بواسطته عن علاقة (الذات) بـ :(الآخر).

هذه النتاجات راهنت على إبداع رؤية حداثية للمسرح العربي هدفها تحقيق حوار الذات مع العالم حيث لا تستبعد رؤيتها للواقع، وللعالم مما أفضى إلى تقوية إرادة تجديد التعامل مع الإنتاجية المسرحية التي يوجد عليها المسرح العربي استجابة للدواعي الظرفية والمعرفية العميقة التي حفزت المسرحيين العرب على اختيار إمكانيات جديدة تجريبية في المسرح العربي، ولعلهم بذلك سيقدمون صورة مغايرة للعالم القائم وذلك بإعادة النظر في الأدوات والقيم والمعايير التي كان بعضها أو جلها غائبا أو مغيبا عن سياقات التفاعل مع الآخر قبل ستينيات القرن العشرين.

في هذا المساق تمت إعادة النظر في مجموع المكونات المتحكمة في الرؤية الدرامية واللغوية والبنيوية للتجربة المسرحية العربية بدء من بدايات المسرح العربي، مرورا بتجربة كل من توفيق الحكيم، وعلي الراعي، ويوسف إدريس، وسعد الله ونوس، وعز الدين المدني، وصلاح عبد الصبور، ونظريات المسرح العربي التي أنتجتها الجماعات المسرحية في الوطن العربي حيث نجد أنهم كلهم راهنوا على طرح أسئلة جديدة لتأصيل المسرح العربي، والبحث له عن بنية مسرحية مغايرة تقدم صورة الأنا في العرض المسرحي ببنية أخرى تؤسس لهذا الجديد.

وكانت من نتائج هذا التفاعل الثقافي مع الآخر امتلاك تقنيات جديدة مستفيدة من التطورات المنجزة في التجريب المسرحي الذي حققه الغرب حيث وظفت هذه التقنيات في الإنتاج المسرحي العربي سواء على مستوى كتابة نص المؤلف، أو في زمن تكوين علامات العرض مما جعل النقاد يتجهون في مقارباتهم النقدية إلى ممارسة الفهم والتفسير والتأويل متعاملين مع مفاهيم نقدية جديدة ساهمت في الدفع بالمسرح العربي نحو تغيير أسلوبه ليصير ممارسة ثقافية لها هويتها المحملة بالمعرفة الممكنة التي توفر للتجريب أسنادا ثقافية تساعده على التحقق والتطور والتنامي، كما هو الشأن في تجربة المسرحيين المغاربة مع محمد تيمد، ومحمد مسكين، ورضوان احدادو، وعبد المجيد فنيش، والدكتور مصطفى رمضاني، وعبد الكريم برشيد، وعبد القادر اعبابو والدكتور عبد الرحمن بن زيدان.

ويمثل الدكتور عبد الرحمن بن زيدان في هذا السياق الجديد أيقونة المسرح العربي في النقد المسرحي، وفي الكتابة المسرحية التي أثمرت مجموعة من المسرحيات من بينها: (العار للمتفرجين)، و(الماء أمان في معركة بوفكران) شراكة مع الزجال محمد بنعيسى، و (صمت له كلامه)، و(زنوبيا في موكب الفينيق)، و(الحلاج لا يخون ظله)، و(سهام شهرزاد)، و(ألوان الضيم)، و(أسفار في شغف العشق) و(كوفيد شبح بدون هوية) والمسرحية الموسومة بـ (حضرة البوح) موضوع مقاربتنا النقدية، كل هذه المسرحيات موسومة بالاختلاف عن ثقافة النموذج لأنها تندرج ضمن تجارب المسرح العربي التجريبية التي تجعل التراث ومساءلة مضامينه، وعصرنة خطاباته، وإدماجه في الرؤية المعاصرة عملا إبداعيا جديدا.

و يمكن مقاربة التيمات التي تقدمها هذه الحضرة وهي تتحرى الدخول في عالم الكتابة التجريبية لتناول موضوع إشكالي يمثل ظاهرة عالمية لها علاقة بما جرى هنا في المغرب مع الإرهاب بأعتباره خطرا على الناس والعباد.

تيمات الحضرة والبوح في النص المسرحي

تعني الحضرة الفرجة التي يمارسها الإنسان ليعبر بجسده وحركاته عن جذبة خاصة يتدرج بها من المحدد إلى المطلق تمشيا مع إيقاعات وألحان لها علاقة بالطوائف والفرق المسرحية الشعبية، وللحضرة - طبعا - طقوس وحالات تختلف حسب اختلاف الظروف والملابسات النفسية والاجتماعية لممارسيها ويمكن تقسيم مناسباتها إلى ممارستين هما حضرة نسبية تسمى حضرة الونيسة وحضرة معمقة تسمى حضرة الليلة التي هي حضرة روحانية يحضرها أصحاب الجذبة الباحثين عن الشفاء والعزاء الروحي، وإظهار المكنونات والحالات النفسية المؤرقة ، و يؤثث طقوسية هذه الحضرة فرق صوفية برأسها المقدم من بينها (عيساوة) ، و(كناوة)، و(أهل توات)، و (احمادشة)....

وانتشرت فرق صوفية تراثية شعبية أخرى تقوم بترديد قصائد شعرية من التراث الصوفي المغربي والإسلامي وتتخذ أحيانا من الإنشاد الديني بخطاب التوسل تجربة محملة بما هو صوفي تحضر فيه الأذكار، وأشعار التصوف كما تقدم نموذجه فرقة الحضرة الشفشاونية من مدينة شفشاون.

أما البوح في اللغة هو من (باح يبوح) أي أخرج المكنون وأفصح عن مستوره، وأظهره وهو ما سيصير مركز الحكي في أبواح مسرحية (حضرة البوح) بدء من العنوان كمدخل يمهد لمضمون النص و عوالمه، من هنا نريد تقديم قراءة لهذا العنوان الذي يبقى دالا على فعاليته في إنتاج المعنى الأول للنص.

قراءة في مفهومي الحضرة والبوح

إن الربط بين مكوني العنوان محدد في علاقة تلازمية بين ظاهرة الحضرة والبوح، حيث أن الحضرة تبقى وسيلة لبلوغ صاحب الحال إلى مقام الكلام وهو ما قال عنه المؤلف عبد الرحمن بن زيدان الذي جعل من التحدي مفتاح الكلام بقوله : (أكتب دوما ما يجعلني أعرف ما يضمره واقع هذا العالم وما يبطنه في ممارسته السياسية والاقتصادية والثقافية حتى أبوح بموقفي منه متتبعا المكتوم المخبإ فيه وأنا أعيش دوما على تقليص الأبعاد والمسافات الموجودة بين موقفي وممارستي أو أعيش على إيقاع وجود ثبات حقيقي بين ما هو قار وبين ما هو متحول) 1

وهذا التحدي بالبوح هو الذي صاحب المؤلف في حوار النص، وسار به نحو بلوغ الكشف عن العديد من القضايا المتعلقة بالمرأة، والرجل، والواقع، وخفايا الصراع في المجتمع وفي هذا يقول: (لأن سيطرة المسيطر لم تترك للمرأة والرجل معا فرصة تعبير عن حاليهما، وأحواليهما كي يبوحا بالمقموع في دمعيهما ويتحدثان عن المكبوت في رؤيتيهما ويخرجان من المنحسر من آهاتيهما وأهات المجتمع للعلن) 1

وهذا ما يكشف عن وظيفة البوح كونه يمثل استراتيجية واضحة المعالم في كتابة نص (حضرة البوح) بخصوصيات الكتابة الملحمية بأبواح حملت كلها عناوين كبرى بخط مضغوط يعتبر مدخلا للوصول إلى مضامين اثني عشر بوحا، هذه الأبواح ذات المرجعية القدسية الروحية التي لم تأت اعتباطا لأنها مرتبطة برقم (اثني عشر) حيث جعلها المؤلف محملة بدلالات الاختلاف عن باقي الأعداد وهو ما نجد له ارتباطا رمزيا بعدد الأبواح في هذه المسرحية التراثية نمثل لها بنا يلي:

فعدد العيون التي فجرها النبي موسى ليشرب منها قومه كانت اثنا عشر عينا. وعدد شهور السنة إثنا عشر شهرا. وعدد البروج إثني عشر برجا، وعدد الأسباط إثني عشر، ورقم إثنا عشر كان مقدسا عند كهنة المعابد.كما أن لهذا الرقم - أيضا - قدسية متعدد في علاقته بسورة النبي يوسف في القرآن الكريم المرتبة إثنى عشر في ترتيب سور القرآن الكريم

إن قدسية هذا الرقم يوحي بأن هذه الأبواح في النص المسرحي ذات علاقة بما هو قدسي وروحي وهذا ما أبرزته خطابات العروف والعريف على سبيل المثال لا الحصر:

النزوع إلى الدفاع عن قيمة التسامح الديني والدعوة إلى الارتباط بالقيم السمحة، وآحترام الأديان السماوية بدون تعصب ولا تطرف.

شجب كل ما هو عنصري متعصب كان رمزه قزح الذي يحل ما حرمه الله، ويشرع حسب مصالحه وأهوائه.

وعلى الرغم من تعدد وآختلاف عناوين هذه الأبواح يبقى الخيط الرابط بينها كلها هو حضور البوح بعد حصص الحضرة المقامة بصالة العروف التي تؤدي بزبنائها إلى الارتخاء والانتشاء بالتدليك ليدخلوا في حالة نفسية تؤهلهم إلى إزاحة الستار عن مكنوناتهم والتعبير عن خفايا صدورهم وخلفيات تفكيرهم الذي يخرج من اللاشعور ليظهر الوجه الآخر من حقيقتهم المنافقة كما حدث لقزح الذي أبان عن مشروعه الإرهابي الهادف إلى تأسيس دولة لها هدف يسير على هذه الاختيارات كما حدد عقيدتها خطاب النص بعقيدة يروج لها قزح وأبناؤه داسم، مطرش، هفاف، وهي كالتالي (الغزو، والجهاد، والتكفير، والخلافة) 2

هذه الحقيقة الحاملة للمشروع الإيديولوجي الإسلاموي لقزح المارد، الشيطان، المناصر للفكر الداعشي الإرهابي بآمتياز، والساهر على تطبيق منظومته الإرهابية يهدف إلى تأسيس دولة تسير وفق البرنامج المذكور الرامي إلى تأسيس دولة على مقاس الفكر الداعشي المدمر للعالم .

وقزح معروف بادعاء المعرفة والنصح وبخوض الحروب في شتى البلدان الإسلامية، يتظاهر بالتدين، ويقدم فتاوى خاصة، ويركب على كل الأمواج التي توصله إلى ما يشتهيه من منصب، ومال، وجسد.لا تهمه قوانين الفضيلة والتقوى، لكن الذي يهمه هو توظيف المال لتسلق أعلى المراتب السياسية، وشراء الشهرة والكراسي وتلميع حياته. والاشتغال في الخفاء.والتشجيع على الإرهاب.

إن قزح يتجنب الصواب في كل أعماله من أجل الربح، معلنا أنه سيدافع عن الفقراء

والمحرومين لينتزع لهم الحق وينشر بينهم الدين الحق، مدافعا عنهم بأصواتهم التي سيصل بها إلى البرلمان بأصوات الفقراء وحقوقهم التي سيركب عليها ليسكت بها المعارضين والعلمانيين، لأن أصوات الفقراء تبقى رأسمال مهم للربح السياسي عند الانتهازيين القزحيين وهو ما أبان عنه العريف في حواره مع العروف واصفا سلوك قزح رابطا شخصيته بالعديد من الإرهابيين مثله في العالم كالتالي:

(العريف : هذا قزح وأمثاله يتغيرون كالحرباء، فهذا قزح يتحول من قزح إلى البغدادي، ويتحول من البغدادي إلى عميل، وينتقل من عميل إلى مرتزق، وينتقل من مرتزق إلى شبح بنياشين....

العروف: هل هذا يعني أنه منافق سياسي؟)3

وفي هذا السياق يقدم العريف حقيقة قزح وحقيقته وسلوكه وقناعاته السياسية التي لا علاقة لها بالدين، ولا بالإيمان، ولا بالقيم فيقول ما يقوله قزح في دواخله:

العريف: يقول في قرارة نفسه بعد أن غيّر مَعدته (أنا منافق بالدين والسياسة إذن أنا موجود)4

وينحو نص (حضرة البوح) إلى تقديم الشخصية النقيض لقزح وهي شخصية العروف التي لها بوح آخر بعد أن بدأت تعرف الحياة من خلال مهنتها القائمة على التدليك، وعلى تخصصها في علم النفس وآستقبال زبناء فقدوا معنى الحياة، وأحسوا بكل مظاهر الانكسار، والفشل في العمل السياسي مما جعلهم في أمس الحاجة إلى حصة للتدليك لعلهم يشعرون بالراحة المفقودة بين ثنايا قلوبهم و أرواحهم في فضاء كان بظلمته وبوجود الأجسام الممدة على منصات التدليك يفزع العريف، ويرهبها وهو ما باحت به إلى حبيبها العروف:

(العريف: أريد أن أسألك: ما معنى الخوف في هذه الغرفة التي أسكنها مع هذه الأجسام الحية الميتة؟ أجسام تتمدد هنا، وهناك تحتل الكراسي الوثيرة التي تسلط عليها الأضواء ولا نعرف إلى ماذا تخطط؟ وماذا تفعل؟ وكيف تفكر؟

العريف: الخوف عندك انفعال في النفس فيها يسكن المحبوب الجديد)5

وهذا ما يؤكده العريف الحبيب، ظلّها، وحبيبها، وزوجها، ومناصرها في مواقفها، لأنه السياسي الملتزم المغدور به لأنه ضحية محاولة الاغتيال السياسي الذي صار طيفا في النص المسرحي يلاحقها حين يظهر ويبث فيها الأمل بالحياة، ويبقى المكان بظلمته الموحشة مكانا للموتى على الرغم من أنهم أحياء يبقى فيه ذكر الحبيب يتردد بآستمرار ويجعل البوح ممكنا تصف العروف ما فيه من هلع وخوف:

(العروف: لا محبوب، ولا هم يحزنون، المحبوب رحَلوه إلى ظلمات أخرى، هنا ـ فقط ـ أجساد معي، وأبدان فارغة لا فرق بينها.. كلها تخيفني.. لحوم متناثرة، عظام نخرة تريد العودة إلى الحياة.. معها أجد الخوف ضدي.. أجد ذاتي ضدي...ألفي البكاء ضدي.. أجد ضدي ضدّي.. إنه فصل الانكسار، أريد أن أكون فيه أقرب إلى النجوم والسماء)6

وهذا الخوف في قلب العروف جعلها تبدأ بوحها للحديث عن كل الحالات التي تعيشها يوميا مع من فقدها وفقد طعمها على الرغم من السيادة والزعامة، والجاه المتغطرس كصفات ملتصقة بقزح، ويكون الحوار بينها وبين العروف كشفا للنماذج البشرية التي يمثلها رمز التسلق الطبقي:

(العريف: لكنك في الظلمة تعيشين مع أجساد بلا كفن وبلا لباس تعطينها الإحساس بالحياة...

العروف: نعم لكن هل أمنح روحي إلى من لا روح فيه. هم محنطون محنطون

العريف: هل حاولوا...؟

العروف: نعم

العريف: وهل حاولوا نزع روحك من روحك؟

العروف: نعم أرادوا نزع روحي من حياتي، أردوا اغتيال فرحتي المؤجلة من أحلامي، لكنني أقاوم.

العريف: أية حياة تقصدين؟

العروف : كنت لا أرى أي تقارب بين هذا الخوف وبين الأمان والارتياح والطمأنينة مع هؤلاء المحنطين الخارجين من أقبية النسيان والهذيان، وعقوق الرب، وصناديق الاقتراع الكاذبة.. والتزوير، والجهل المبرمج....والتكفير...)7

إن بوح العروف مختلف عن باقي الأبواح في هذا النص المسرحي لأن له علاقة بالخوف، و الظلمة، وآنكسار ما في الذاكرة نتيجة الفقد، والصدمة التي تتلقاها وهي تسمع وترى كيف يفكر أصحاب المصالح وهو ما باحت به إلى العريف في حوار خاص فيه تتحدث عن معاناتها:

(العروف : ... أنا مللت من الإخفاء والإضمار، والإبطان

العريف: ما أجمل الإبانة والسفر بالذاكرة إلى عالم الخيال والحقيقة

العروف : أنا أتردد

العريف: سأكون معك حاضرا في هذا البوح لنعرف من هي هذه الأشباح

العروف: ما أحلى الفحص والبوح... ما أحلاهما حتى ولو كانا موحشين، وغامضين لا أعرف مآلي فيهما)8

وعرفت العروف في النص المسرحي بالمعرفة، والإصرار، والتحدي، والتمنع، والذكاء، كما عُرفت بخطابها الرافض لمظاهر الإرهاب يساندها العريف في كل مواقفها حاملا معها همّ المعرفة والتطلع إلى التغيير وفضح عملية تفريخ الأتباع وتصنيع الارهابيين، والانتهازية التي يمارسها قزح في مشروعه السياسوي الذي يحمله أتباعه الذين يقدمون له فروض الطاعة والولاء.

وتبقى العلاقة بين الشخوص قائمة على التآلف بين العروف والعريف كنموذج أول فاعل في أحداث النص، وفي المقابل هناك تآلف آخر بين قزح وأبنائه وأتباعه وهو نموذج ثان يدل على التناقض والصراع بين النموذجين الحاملين لأفكار متناقضة بنى بها المؤلف كل مظاهر الصراع الدرامي في هذا النص.

هذه الشبكة من العلاقات تلخص أن الصراع الدرامي في مسرحية (حضرة البوح) قائم على التقابل والتناقض بين حامل القيم الإنسانية السامية المدافع عن إنسانية الإنسان، وأعتداله، والاقبال على الدين والحياة، وبين من يمثل مظاهر الشر الحافلة بسادية مدمرة يتم بلوغها عن طريق إلحاق أذى مادي بالمجتمع عن طريق تفجير أماكن العبادة، والتجمعات.

وتبقى مستويات حضور الشخوص في هذا النص متفاوتة كمّا وكيفا لأنها توجد في لجة صراع محتدم يدور حول المتناقضات التي تحكم المجتمع، ونجد أن الأكثر حضورا في سياق هذا الصراع هما العريف والعروف من جهة، وقزح من جهة ثانية، فالعروف تمتلك القوة المعرفية وهي ذات إصرار قوي به تلتزم بإرجاع النور إلى الحياة إلى الحياة، وآستبدال الظلمة بنور اليقين وفي المقابل يكون قزح هو الحامل للسادية المدمرة المتجددة في الزمن السردي للأحداث.

وبعد تتبع حالات وتحولات الشخوص من منظور الخطاطة السردية للنص القائمة على المتناقضات أريد المرور إلى مقاربة فكر المؤلف من خلال ضبط النموذج العاملي الذي أحدد عناصره فيما يلي:

-اعتماد رؤية الذات الكاتبة على أدانة الإرهاب

-التوكيد على نشر ثقافة المحبة والسلام والتسامح.

-التطلع إلى تحويل المجتمع الكائن المصنّع بالجهل إلى مجتمع مثقف ووسطي في معاملاته.

-لجوء الذات الكاتبة إلى البوح بحرية في ظل التمتع بجو ديموقراطي يضمن حرية التعبير وهذا عامل مساعد قوي وجد طريقه إلى كتابة كل الأبواح، التي تشجب انتشار الإرهاب في العالم ووصوله إلى المغرب بعد حادث نحر السائحتين لويزا ومارين.

وهذا ما تولد عنه اللجوء إلى جرأة الذات الكاتبة لتكتب في مثل هذه المواضيع المسكوت عنها سابقا في التجربة المسرحية المغربية

ومن العوامل المساعدة الأخرى على إنجاز هذه الأبواح استعانة الكاتب بالشخوص الرامزة كأقنعة يمرر من خلالها خطاباته الجريئة.

ويبقى الموضوع الأساس في هذا النص هو رغبة المؤلف وإصراره على فضح مشروع الإرهاب الداعشي والتصدي له بالمعرفة والثقافة. لوضع حد لعمليات التجهيل وصناعته من قبل المؤسسات الماكرة الموظفة للإعلام المتطرف، وتعتبر الأساليب الموظفة التي حرك بها المؤلف كتابة حوارات هذا النص لبلوغ جمالية الإمتاع بالرمز والأسطورة هي الانزياح اللفظي المؤدي إلى شعرية الحوارات كما يحضر أسلوب التكرار بكل أنواعه، كتكرار التقابل، والترادف، والتطابق، والاشتقاق، كما يحضر التكرار الصوتي في العديد من المقاطع الحوارية تحقيقا للتجانسات السمعية التي تطمئن المتلقي بجمالية الكتابة.

إن اعتماد المؤلف على أساليب خبرية متنوعة تنوعات تراعي تنوع المتلقي المتأرجح بين الخالي الذهن بالنسبة لأطروحة الكاتب، والمتلقي المتردد والشاك في صحة الأطروحة والمتلقي الجاحد للأطروحة والمنكر لها وهذا ما أفضى بالمؤلف إلى المزج في الكتابة بين الأساليب الابتدائية والطلبية والخبرية لعلها تصل إلى استمالة متخيل المتلقي العام لفهم النص بهذه اللغة الشعرية.

حضور اللغة الشعرية التخييلية في بناء نص حضرة البوح

تحضر في هذه المسرحية لغة محملة بلغة الازياح والرمز والتخييل في الأبواح التي تعمد المؤلف ألا يكتبها باللغة التقريرية المباشرة لأنه لا يريد لهذه الملحمة السقوط في المباشرة التي تحيل على الواقع مباشرة، حيث يقول في هذا الصدد : (تتوخى هذه المسرحية كتابة تاريخ المرحلة المحكومة بالعولمة، وتتبع أفكار من يصنع الإرهاب، والسياسية الجديدة في العالم، وهي كتابة لا تريد السقوط في المباشرة التي تحيل على المرجعية الواقعية، أو تقديم شخصية نمطية تشبه الواقع وتتماثل معه، لأني أعرف أن التشابه والتماثل لا يكون إلا وفق متخيل الكتابة وليس وفق الاستنساخ البارد لما هو موجود في المعيش ذلك أن الإبداع سيبقى نقيض الاتباع، وسيظل الإبداع ـ حتما ـ القادر على أن يُكوّن لرؤيته نموذجها الخاص الذي تُوثق فيه الحالات، والنزاعات حتى لو ولم تأخذ مُحدّداتها من الواقع لتكون هي الواقع)9

وهذا ما يجعلنا نصنف هذه الملحمة في إطار المسرح المكتوب بلغة مشعرنة نعتبرها جنسا أدبيا نثريا موغلا في الرمز والانزياح مما يحقق للمتلقي بلاغة الإمتاع ولذة القراءة. كما لا تخلو هذه المسرحية من بلاغة الإقناع الحاملة لرؤية المؤلف بعد إقرارها كمخرج من مآزق العولمة والإرهاب والإعلام صانع التخوف والترهيب.

ومن خلال هذه المقاربة النقدية نجد أن المسرحية موسومة ببعض التعقيدات الناتجة عن تكثيف لغة الرمز والأسطورة والانزياح، الشئ الذي تنتج عنه صعوبة الفهم والتأويل وبالخصوص لدى المتلقي العادي الذي يريد المؤلف إدماجه في تحقيق وظيفة المسرح التعليمي، هذا التعقيد هو ميزة الكتابة التغريبية في هذا النص الذي يجعل المألوف غريبا في بناء التناقضات والتباينات السائدة في المجتمع المغربي.

بكل المواصفات التي يمكن بها تصنيف هذه المسرحية نقول إنها رهان فني مبني على الثنائيات المتناقضة، من بينها ثنائية شرق غرب، الاعتدال والتطرف، الحلال والحرام، المعرفة والجهل، الديجور والنور، المعرفة والأمية، التسامح والتعصب، وهو ما صاغه المؤلف دراميا في هذا النص الذي بني على صراع الثقافات والمتناقضات، والكشف عن خبايا كيفية تصنيع الإرهاب من قبل الغرب. كان ذروته نحر السائحتين الضحيتين (لويزا ومارين) في ناحية مراكش من قبل إرهابيين مبرمجين على تنفيذ القتل رافضين توسل الضحيتين.

ويبقى ما يميز نهاية هذه المسرحية هو حضور المنحى الصوفي الذي كتب به المؤلف حالة إنسانية بنفحة صوفية مسيحية مرجعها الإنجيل حتى يجعل من طقوسية العبادة والتوسل وجنازة الضحيتين طقسا مسيحيا بآمتياز. وهذا ما ميّز الكتابة في صياغة التوسل الذي كان مرة بوحا بمرجعية إسلامية، ومرة أخرى بوحا بمرجعيات مسيحية.

وبهذا نعتبر أن مسرحية (حضرة البوح)كتابة تجمع بين الواقعي والمتخيل، التاريخي والسخرية، الشرق والغرب، وهي العناصر القوية في صياغة هذه الحضرة وهذا البوح بثقافة المؤلف التي عدّدت الأبواح في مسرحية موسومة بـ (حضرة البوح).

ملحوظة:

نص المداخلة التي قدمتها بمناسبة حفل توقيع مسرحية (حضرة البوح) للدكتور عبد الرحمن بن زيدان، الحفل المنظم من قبل شبكة المقاهي الثقافية بالمغرب تنسيقية مكناس بشراكة مع جمعية داني ألوان للفن والإبداع وقصر السعادة وذلك يوم الجمعة 24 فبراير 2023 بمكناس.

مرجع المقاربة النقدية:

الدكتور عبد الرحمن بن زيدان : مسرحية (حضرة البوح ـ لويزا ومارين) ملحمة العصر. الطبعة الأولى. 1441 ـ 2019 مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء ص 87 .

المرجع نفسه: ص 71

المرجع نفسه: ص 68

المرجع نفسه: ص 68

المرجع نفسه: ص 30

المرجع نفسه: ص 30

المرجع نفسه: ص 31

المرجع نفسه: ص 32/ 33

المرجع نفسه: ص 22

تم الرجوع إلى ضبط بعض المفاهيم من كتاب («التجريب في النقد والدراما « منشورات الزمن مطبعة النجاح الجديدة 2002)

حسن الأمراني

الحب والزمن

قُمْ ناج حسّانَ يُزْجي الشِّعْر والأدَبا ... وعشْقُ جلّقَ يكْسو الأحْرَفَ القُشُبا
ماذا أصابكَ؟ زلْزالٌ أراقَ دمي ... تاريخُ مجْدي بأعْراقي قد انتَصَبا
طريقُ عمّانَ نحو الشّام موحِشَةٌ ... لولا رُدَيْنَةُ تَرْوي قصّةً عجَبا
أبي المسيحيُّ فاض الحبُّ من دمه ... وليس يعشَقُ إلا المجْد والعَرَبا
اسمي رُدَيْنَةُ والسُّمْرُ الطّوال لَهُ ... درْءٌ؛ تُطَاوِلُ من أشْواقها السُّحُبا
وفي مُزَيْنَةَ، أخْتي، حصْنِ عزّتنا ... كعْبٌ ببُردَتِه قد أعجز الحقبا

وفي جُهَيْنَةَ ما يُزْري بكلّ نبَا ... فمن جهينةَ كان الصِّدقُ خيرَ نبَا
وها أنا أرثُ الأخْلاقَ من دمه ... فيا أخا العُرْبِ زرْ حمْصاً، وزرْ حلَبا
ولا يَريبُكَ زلْزالاً مررْتَ بهِ ... ولا تَقُلْ إنْ دهاك الطّينُ واكَرَبا
شرُّ الزّلازلِ ما يهْوي على خُلُقَ ... وللكراسي يدٌ فرّاسةٌ وشبَا
وللإخاء قَميصٌ قُدَّ من دُبُرٍ ... ولا يراعي أخاً دهْرٌ له انقلبا
وما دمشقُ إذا لم تصْطَحِبْ حلباً ... تُهْدي إليك ندى الزّيْتُون والعنَبَا؟
وللنزاريّ في أرجائها صخَبٌ ... والخيلُ والشعرُ خطّا بالقنَا الصَّخَبا
فكلُّ صاحبِ سيفٍ في اللقَاءِ صدى ... وكلّ كاتب حرفٍ في النَّديّ هَبَا
نحن المروءةُ غسّانٌ لنا نسبٌ ... وهل أعزّ إذا راودْتَهُ نسَبا؟
عشنا هنا أمّةً منْ كان أوّلنا ... لا طائفيَّةَ تُصْلي شمْلنا لهَبا
كفى! كفى! إن تحِدْ تلْقَ الجوادَ كبَا ... أو تنحرفْ تجِدِ السَّيْفَ الحُسام نبَا
لا تُلْقِ بالا إلى الغوْغاءِ جاثيةً ... فالشَّعْبُ في صَبْره يستوطن الشُّهُبا
شهباءُ، أين فتى الفتْيانِ منْجَرداً؟ ... وأين شاعرُهُ إذْ عانَقَ القُضُبا؟
وخلّفَ الكتْبَ لمّا ذَلَّ كاتبُها ... ما أضْيَعَ الكُتْبَ إنْ هانَ الذي كتَبا
هل أفلحَتْ قضُبٌ في رفع مكْرُمةٍ ... ما لم تجَرِّدْ سَديدَ الرأي والكتُبَا؟
لا ينفع الدَّمُ مسْفُوكاً ومنْتشراً ... إلا لقهْرِ عدوٍّ ذنْبَهُ اكتَسَبا
قاسيونُ، كم من بنَانٍ فيكَ معْتَصماً ... برَوْنَقِ الدِّينِ، لا الحنّاءِ، مختَضبا
قالت ردينةُ: أنْت الضّيْفُ يُسْعدنا ... فقلتُ: أسعدُ لولا الكَأسُ ما نضَبا
نسيتُ قلبي بعمّانٍ لزنْبقةٍ ... تشْدُو: فداؤُك ما يأتي وما ذهبا

لوحة بعنوان «محاولة للنجاة» للتشكيلية السورية «رولا أبو صالح»